أسئلة وردتنا

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

دفتر مركزی:

قم ـ خیابان ارم (آیت الله مرعشی) ـ کوچه ارک ـ پلاک ٣٢ ـ ٣٤.

تلفن: ٠٢٥٣٧٧٣٥٠٠٨

همراه ٠٩٣٣٤٤٩٠١٦٠

فكس: ٠٢٥٣٧٧٤٧٨٥٤

Email: info@al-ameli.com

Website: www.nt-ameli.com

www.al-ameli.com

www.al-ameli.net

www.al-ameli.org

telegram: @alameli

أسئلة وردتنا

السيد جعفر مرتضى العاملي

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ١١١)

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (الانعام ١٤٨)

تقديم وتمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد.. فلا بأس بملاحظة الأمور التالية:

١ ـ لقد وردتنا أسئلة كثيرة في فترة اكتنفتها مصاعب ومتاعب شخصية منعتني من رد التحية بمثلها، أو بأحسن منها. وبعد أن خفَّت ـ بعض الشيء ـ وطأة ضغوط هذه المتاعب والمصاعب، ونظرنا في الأسئلة التي وردت، ووجدناها قد بلغت المئات، فخصصنا لها وقتاً..

وقد وفقنا الله تعالى للإجابة على أكثرها، الذي أضفناه إلى أجزاء كتاب «مختصر مفيد» الذي بلغ واحداً وعشرين جزءاً..

ولكننا أفردنا هذه الأسئلة وأجوبتها عنه، لنقدمها للقارئ الكريم على حدة آملين أن تنال رضاه، مع رجائنا الأكيد والشديد منه: أن يتحفنا بملاحظاته، إن وجد فيها أي قصور أو تقصير، أو خطأ، أو اختلال، فإننا لا ندَّعي العصمة لأنفسنا، وسنكون له من الشاكرين..

٢ ـ غير أنني أحب هنا لفت نظر الإخوة الأكارم: إلى أن معظم ما في

هذا الكتاب إنما هو جواب على أسئلة ذكرناها في البداية، وهي المرقمة من [١ ـ ١٤]، وقد وردتنا من شخص واحد، في رسالة واحدة.. ثم عقبناها بالأجوبة عنها، ثم ألحقنا بها بضعة أسئلة أخرى مع أجوبتها أيضاً، لأننا وجدنا أنها تتخذ نفس السياق، وتصب في نفس الاتجاه.. فهي بمثابة ملحقات، أو توضيحات للأسئلة الأخرى التي سبقتها.

وقبل الدخول في أجواء الأسئلة وأجوبتها، أود لفت نظر القارئ الكريم، إلى بعض الأمور، وهي التالية:

٣ ـ إن هذه الطروحات والأفكار التي وردت في أسئلتهم تشي: بأن ثمة أجواء من التحدي للأديان، وخصوصاً دين الإسلام، وأن هناك رغبة جامحة في الطعن في هذا الدين، وإضعاف أمره، وخلخلة قناعات الناس به، وتقويض مبانيه، وتهجين معانيه.

ويبدو: أن هذا النوع من الهجمات أو التحرشات بالإسلام قد تنامى وتصاعد حتى أصبح يهيمن على أجواء كثير من الشباب في محيطهم الجامعي، وفي معاهدهم العليا، وفي جامعاتهم، وفي مجالات أخرى بعدها.

وربما كان هناك من يحاول أن يغذي ويقوي، وينمي، وينعش هذه المناخات، ويجعل منها هماً شبابياً، وظاهرة ثقافية..

ويعطي الانطباع: بأن ما يثار من أسئلة، وما يدور من نقاشات جدير بالتأمل والدراسة والبحث.. ومراجعة الحسابات، وتحويل الأنظار والتوجهات، وتقويض المسلمات، والعبث بالبديهيات.

٤ ـ غير أننا من جهتنا، نريد أن نثير تساؤلاً علمياً وموضوعياً، حبذا لو

أجابنا هؤلاء عليه، لكان هو القاسم المشترك والأساس الذي يجمعنا بهم، ويفتح باب التعاون معهم، وهو التالي:

إننا نعلم: أن عقدة العقد لدى هؤلاء المناوئين للإسلام هي: أن هذا الدين الحنيف يقدِّم أطروحة حياتية متكاملة، وكاملة، وشاملة لجميع شؤون الحياة، ويعطي أجوبة علمية وعملية، وحاسمة في أية قضية تطرح، أو فكرة تتداول على كل صعيد، ولديه في كل مجال أطروحة، وفي كل شأن منهج ونظام، ولكل سؤال جواب، ولكل مقام مقال..

٥ ـ فلدى الإسلام: نصوص عن الله وعن الرسول، والأئمة المنصوص عليهم، تكاد تستوعب كل شأن كان، أو يكون، للإنسان وللحيوان، ولكل صامت وناطق، وحي وميت، وجامد ومتحرك.. ولكل مخلوق وموجود..

فلديه منهج اقتصادي، وسياسي، وفيه عبادات، وأخلاق، ومُثُل، وقيم.. ولديه أفكار، ومناهج، واعتقادات.. ولديه قرآن هو المعجزة الحاضرة، والماثلة للعيان.

وفيه نظام تربوي وتعليمي، ونظام إداري، وهو ينشئ المؤسسات في مختلف المجالات.. وفيه نظام سير، ونظام عقوبات، وجهاز ونظام قضائي.. وفيه علاقات اجتماعية، ونظام حقوقي للموجودات بجميع أنواعها وأصنافها.. وفيه تربية روحية، ونظام غذائي.. وفيه زراعة وصناعة، وتجارة، وكل ما يحتاجه البشر وغير البشر..

٦ ـ ولدى الإسلام: علم، ومنطق، ودليل، وهو يلاحق حتى خيالات الإنسان وأوهامه، فضلاً عن طموحاته وأحلامه في الحياة والممات، وما بعد

الممات، وهي تغنيه عن كل ما ينتجه البشر من فكر، وقانون، ودراسات، وسياسات، وغير ذلك..

وكل ذلك هيأه لنا بفضله وكرمه علام الغيوب، الواقف على الأسرار والحقائق، وسائر الدقائق.. ولا نحتاج إلى علماء في القانون، ولا نتلمس معونة أحد من واضعي الدساتير.

فلا مِنَّةٍ لأحد على أحد في شيء من ذلك، ولا يحتاج أحد إلى أحد، بل الفضل والمنة لله الذي هدانا لهذا كله، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..

٧ ـ ونظن: أن هذا بالذات هو مكمن وجع خصوم الإسلام ومناوئيه، وهو الذي يؤرقهم، ويقض مضاجعهم، لأنهم لا يملكون ما ينافسون به أطروحة الإسلام ومناهجه في جميع الشؤون، بل ليس لديهم.. ولو عشر معشار هذه الثروة الهائلة والغالية.

ومن أين لهم ذلك، وأنى، وهم قد عزلوا أنفسهم عن الغيب، وناوؤوه، وخاصموه، واعتبروا حربهم له ضرورية، لأنها حرب وجود ومصير؟!

ولجأوا إلى أفهامهم وعقولهم القاصرة، لتقدم لهم البديل عن المنهج الإلهي، وتكون هي البديل عن الله الخالق، القادر، والعليم الحكيم، الرحيم، المختار، الذي أودع في ذرات هذا الكون عجائب الأسرار..

مع أن العقول والأفهام لا تعرف، بل لا تقدر على شيء من ذلك، فهي تحتاج إلى أن يكشف لها الغطاء عن حقائق ودقائق وأسرار الكون والحياة، ويرفدها رافد بحقيقة الموجودات كلها، وعلاقاتها، وأسرارها، ويكشف كيفيات

عملها، وسائر حالاتها، لأن هذه العقول حتى حين تكون سليمة من التشويهات التي تفرض عليها، تكون أشبه بالجهاز المسمى بالكمبيوتر، فإنه لا يخلق فكراً وعلماً، بل هو يتصرف في المعلومات التي تلقى إليه، ويقارن بينها وفق البرامج التي تعطى له.

والخلق كلهم، مهما كشفوا واكتشفوا، إنما ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾(١).

فما بالك بمن لا يعلم شيئاً عن الآخرة وما فيها، ولا يعرف ما يسعد نفوسهم وما يشقيها، وما يهلكلها ويبقيها؟!

٨ ـ وإذا أردنا أن نطالب هؤلاء بالبديل الصحيح، الذي يحلّ المشكلات، ويحقق أقصى درجات الحفظ، والفوز والسعادة.. فربما أرشدك إلى إله مسلوب الصلاحيات، قد خلق الخلق واعتزلهم، وتركهم يتخبطون بين أوهامهم وأحلامهم.. فيقعون في الخطاء الفاحشة، والتناقضات والتباينات..

وربما ادَّعى بعضهم: أن الخلق والتدبير هو نتيجة تحولات المادة اعتماداً على تقادم الزمان، وعروض تبدلات الأحوال ـ فإذا طالبناه ـ بالدليل على صحة قوله هذا، أو ذاك.. فلن يكون لديه سوى نفس هذا الادِّعاء المخترع الذي يستدل عليه بادِّعاء مخترع آخر..

فهؤلاء، ومن معهم، ومن ورائهم، إنما يدورون في حلقة مفرغة، لا يدرى أين طرفاها، ولا سبيل لهم للخروج منها، وحالهم في منطقهم كما قال الشاعر:

---

(١) الآية ٧ من سورة الروم.

كأننـــا والمـــاء مـــن حولنـــا قـــوم جلـــوس حـــولهم مـــاء

ثم هم يتحصنون وراء حالة المكابرة، والإصرار، والعناد، والجحود، والسعي لفرض الرأي بالتهويلات والتشنيعات، وربما بالاتهامات والأذى اللساني، والجرأة على التوصيف بكل قبيح، دون خجل أو وجل، أو رادع وزاجر من خلق، أو ضمير أو وجدان.

٩ ـ وإذا أغمضنا النظر عن ذلك كله، وقلنا لهم: إن إسلامنا هو على النحو الذي وصفناه وبيناه، وإذا أردنا التخلي عنه، فلا بد من بديل، فهل لديكم هذا البديل؟!

وهل من أطروحة تضاهيه في الدقة والشمولية، أملاها عليكم، وأنتجها لكم الإله العاجز، والعاطل عن العمل، أو المادة الغبية، والعاجزة، والجاهلة، التي لا تدرك، ولا تعقل، ولا تميز شيئاً عن شيء.

هل تعرف المادة الخير والشر، والصالح والطالح، والحسن والقبيح، وتنتج لكم المناهج الاقتصادية والتعليمية، وتصنع لكم القوانين العامة، وتحدد لكم القيم والمفاهيم، وتبين لكم الخلق الحسن من الرديء، وغير ذلك؟!

أم أنها لم تصنع لكم شيئاً، بل أوكلتكم إلى عقولكم المحكومة بالأهواء، والميول والشهوات، والعصبيات، والحالات، والعاهات النفسية، وتتأثر بالمرض، وتخضع للحاجة، وتحتم عليكم التملق للسلطة، والخضوع للجبارين، وأن تكونوا ألعوبة بأيدي الأقوياء والظالمين.. و.. و.. إلى آخر ما هنالك؟!

وطبيعي: أن يكون الخضوع للمادة البلهاء والعمياء، والصماء، وللأهواء، والعصبيات آثاراً سلبية، وأن تظهر التناقضات، وتعم الخلافات، وأن يظهر

التنافس والتسابق إلى الشرور والآثام، وصناعة الإجرام، بدل أن يكون السعي إلى الخير والصلاح، والكمال، والفلاح، والجد والاجتهاد في رضى الرب المتعال، وقد قال تعالى: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾(١).

وكان من الطبيعي أيضاً: أن تختلف وتتباين وتتصادم الأهواء، والغايات، والأهداف التي تسعى إليها الشعوب والأمم والأفراد، بسبب اختلاف المصالح والأهواء، والانفعالات والعصبيات، وأن تكون ثمرة ذلك هي اشتداد البعد عن الأهداف النبيلة والسامية.. وقد حذَّر الله تعالى من ذلك بقوله: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾(٢).

١٠ ـ ما الذي يحتِّم على الناس: أن يتبعوا غير الإلهيين في اعتقاداتهم، وأفكارهم، وأن يخضعوا إلى خططهم، التي هي نتاج أفكارهم وعقولهم ومصالحهم وأهوائهم؟!

ولماذا لا يكون العكس؟! وبأي شيء تمتاز تلك الأفكار التي هي من صنع العقول القاصرة، والمحدودة، والمتناقضة أحياناً، والخاضعة للمصالح والأهواء على دين الإسلام الذي ثبتت صحته بالمعجزة القاهرة، التي لا سبيل لأحد لنقضها، أو العبث بها؟!

إن أفكار المخلوقين لا تملك ما يضمن عدم وقوع الخطأ فيها، أو استغلال البشر بها..

ومن الذي يضمن أن لا تكون تلك الأفكار، والمناهج في خدمة أصحاب

---

(١) الآية ١٤٨ من سورة البقرة.

(٢) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

المصالح، والشركات الكبرى التي تسعى إلى ابتلاع خيرات العالم، وجني الأرباح، والتسلط على العباد والبلاد؟!

وما الذي يضمن أن لا يتم التلاعب بالقيم والأخلاق لمصلحة أصحاب الشهوات ولخدمة الذين يريدون التفلت من القيود الأخلاقية أو الدينية، ليعيشوا حياة شهوانية ساقطة، لا تشبه حياة البشر.. ولا حتى حياة البقر؟!

١١ ـ إننا نطالب هؤلاء أن يقدموا أطروحتهم الشاملة لكل شؤون الحياة، وذلك وفق ما يلي:

أولاً: أن تكون أطروحتهم من صنع الإله الذي يزعمون أنه هو الذي يخلق ويدبِّر، ويختار، ويقرِّر.. أو من اقتضاءات وحالات وجوده، حتى لو كانت قهرية وغير اختيارية لها.

ثانياً: أن يفسحوا المجال لإجراء، أو أن تجرى دراسة مقارنة صريحة وشاملة تبين مواضع الخلل، والخطل، بالاستناد إلى الدليل العلمي المقنع.. مع ضمانات وضوابط تردع أي استغلال أو اختلال..

ثالثاً: إذا كان الإسلام يقدم معجزة هي القرآن، فلا بد أن نطالب الماديين بمعجزة تظهرها المادة، لكي نطمئن إلى صدقهم في نسبة الأمور إليها، حتى لو كانت من انتاج عقولهم..

١٢ ـ ويجب أن لا ننسى: أن الذين لا يملكون شيئاً يعتدُّ به، يلجأون إلى إثارة الشبهات، والتشكيكات، وإلى السباب والشتائم، وإلى الادِّعاءات الفارغة، والتباهي بالهباء والخواء.. وبذلك يؤدون قسطهم للعلى بزعمهم..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين.

السؤال الجامع: ١٤ سؤالاً في سؤال:

الاسم: مؤيد

النص: بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم و رحمة الله وبركاته.

أحد زملائي في العمل قام بطرح مجموعة من الأسئلة العقائدية، وطلب مني أن أجيبه عليها، فقمت بالبحث في الكتب العقائدية هنا وهناك عن إجابات لهذه الأسئلة، ولكني غير متأكد من أنها الإجابات المثالية، لذلك أرجو مساعدتكم بالإجابه عن هذه الأسئلة.

و لكم جزيل الشكر و التقدير والاحترام.

نص الاسئلة:

١ ـ إذا كان الله ليس بحاجة لنا ولا لعبادتنا، فلماذا يعذِّبنا إذا لم نعبده؟! لماذا يعذِّبنا إذا لم نفعل شيئاً هو لا يحتاجه أصلاً؟!

٢ ـ إذا كان الله قد خلق الناس من أجل معرفته وعبادته، لماذا لم يوصل رسالته للعديد من الشعوب؟!

ولماذا كل الأنبياء الذين ذكرهم القرآن بعثوا في منطقة الشرق الأوسط،

في حين أهمل الله باقي مناطق الأرض؟!

ورغم أن النبي أرسل رسله إلى الفرس والروم والأقباط، لكن كان هناك شعوب، مثلاً: الهنود الحمر في الأمريكيتين (وكانوا وثنيين) لم تصلهم الرسالة، وعاملهم الله بإهمال كأنهم ليس لهم وجود.

٣ ـ لو كان لأحد أولادنا: أن يرفض الاعتراف بأبوتنا له.. رغم كل محاولاتنا لإقناعه، حتى بعد أن جئناه بأدلة قطعية (كتحاليل الـ«دي. أن. أي»)، فهل سنفكر يوماً في إحراقه للأبد في النار عقوبة له؟!

وإذا كان الله أرحم من أبينا وأمنا بنا، لماذا تكون عقوبة من لا يؤمن بألوهيته الخلود في نار جهنم؟!

مع العلم: أن الدليل على أبوّتنا لأبنائنا أقوى من الدليل على ألوهية الله لنا.

٤ ـ كيف يمكن أن يكون العذاب الأبدي عقاباً عادلاً لأي شخص، مهما كانت جريمته، ونحن نصف الله بالعادل، فضلاً عن وصفه بالرحيم؟!

٥ ـ ما الذي يمنع أن تكون الأديان جاءت بوحي شيطاني لإبعاد الناس عن الخالق الحقيقي، وتفريق الناس، وإثارة الفتنة بينهم، وسفك دمائهم، وإبعادهم عن الإنسانية المجردة التي تجمع الجميع تحت ظلها، وهو ما شاهدناه يحصل عبر عصور، وأن الخالق يريدنا أن نصل إليه، وإلى حقيقته بأنفسنا؟!

٦ ـ هل سعى الإسلام فعلاً لحل مشكلة العبودية؟!

إذا كان الإسلام يريد حل المشكلة على المدى البعيد، لماذا استمر في السبي؟!

ولماذا لم يوضح القرآن ـ ولو لمرة واحدة ـ: أن هدفه في النهاية هو الوصول

إلى عالم خالي من العبودية، يتساوى فيه الجميع؟!

ألم يكن عدم وجود نصوص صريحة تحرم السبي سبباً في استباحة مئات الآلاف من النساء في الفتوحات الإسلامية عبر التاريخ؟! وما فعلته داعش بحق الأيزيديات والمسيحيات مؤخراً؟!

صحيح أن الإسلام شجع على عتق العبيد، ولكنه لم يمنع استرقاقهم في الأصل.

وأبسط مثال على استمرار العمل بالسبي هو رغبة جيش الإمام علي بسبي النساء بعد معركة الجمل، ولم يرجعوا إلا بعد أن قال لهم الإمام علي، ما معناه: «إن كنتم ترونهم كفاراً مرتدين تسبى نساؤهم، فأيكم تطيب نفسه أن تكون أم المؤمنين عائشة في سبيه، وتكون جاريته»؟! أي أنه لم يعترض على الفعل نفسه، لكنه حكم بحرمته لإسلامهم..

ألا يعد هذا الفعل نفسه ازدواجية، من حيث استباحة أعراض الناس، وتحريم أعراض المسلمين؟!

أليس من أبسط بديهيات الأخلاق هو: «ما لا ترضاه لنفسك لا ترضاه للآخرين»؟!

لو فكر كل إنسان: بأن أخته، أو زوجته، أو ابنته تتعرض للسبي والاغتصاب، وتعامل كجارية تباع وتشترى، هل يقبل بذلك؟!

٧ ـ منذ وفاة النبي والمسلمون يقتل بعضهم بعضاً، وإلى يومنا هذا.. ومع ذلك، فنحن ندَّعي: أن الإسلام بريء من هذه الأفعال، وأن أي مجموعة ترتكب جرائم باسمه لا تمثله، وأن هذه المجموعة شوَّهت صورة الإسلام..

فهل هناك فعلاً صورة أصلية غير مشوهة للإسلام؟! أم أن هذه هي حقيقته؟!

القرآن يقول: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾(١)، لكن المسلمين عندما دخلوا مكة هدموا الأصنام، واستخدموا الترغيب بالمال «المؤلفة قلوبهم»، والترهيب لإجبار الطلقاء على الدخول في الإسلام.. ألم يدفع الإسلام الثمن غالياً بعد ذلك؟!

والمسلمون الذين دخلوا الإسلام بدون اقتناع، لم يكونوا مسلمين فعلاً، وقتلوا في النهاية حتى ابن بنت نبيهم وأهل بيته؟!

أليس الله هو علَّام الغيوب، وهو يعلم: بأن هذا كله سيحصل، وأنه سيؤدي في النهاية إلى ملايين الضحايا عبر التاريخ من المسلمين وغيرهم، وأن صورة الإسلام ستتشوه في عين غير المسلمين.. الأمر الذي سيقلل من احتمال تفكير الناس بدخول الإسلام؟!

ألم يكن من المفترض: أن توصل الرعاية الإلهية الدين واضحاً خالياً من التشوهات لكل البشر، لكي يكون حجة عليهم؟!

ماذا لو قام النبي فقط بإخراج الأصنام من الكعبة، وتخصيص مكان للمشركين لممارسة طقوسهم تطبيقاً لـ ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾؟!(٢)..

وبالتالي، حتى لو بقي بنو أمية كفاراً يحاربون الإسلام، فهم معزولون عنه، ولا يمثلونه، وربما لما تفرق المسلمون بعد ذلك، وتقاتلوا، ولما تشوهت

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٦ من سورة الكافرون.

صورة الإسلام في نظر الآخرين..

٨ ـ هناك أشياء فعلها النبي، وكان لها تأثير سيِّء على المدى القريب والبعيد على المسلمين، وعلى صورة الإسلام، بل وصورة النبي نفسه، فزواجه من عائشة بنت أبي بكر كلَّف المسلمين الكثير من الضحايا، حيث تسبب خروجها في معركة الجمل بعشرات الآلاف من القتلى من المسلمين، وأصبحت موضوع فتنة بين المسلمين إلى يومنا هذا..

ألم يكن النبي يستطيع أن يختار زوجة أفضل، وهو الذي لا ﴿**يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾؟![1].. ويحفظ دماء المسلمين، ويدرأ الفتنة؟!

كما أن زواجه منها، وهي التي تصغره بأربعين عاماً في أحسن الأحوال، يعدُّ أمراً غير مقبول إنسانياً في وقتنا الحالي، والكثير من الناس يستنكرونه، ولا يقبلونه، فمن منا يقبل أن يزوِّج أخته أو ابنته ذات الخمسة عشر عاماً من رجل عجوز يكبرها بأربعين عاماً، حتى لو كان في غاية الصلاح وحسن الخلق؟!

والنبي يجب أن يكون قدوة للناس في كل العصور، وليس في عصره فقط (إذا افترضنا أن هذا الفعل كان طبيعياً تلك الفترة).

ويدخل ضمن هذا الموضوع أمر النبي بقتل الرجال من يهود بني قريظة، وسبي نسائهم.. وكان من الممكن أن يكتفي بطردهم من المدينة.

٩ ـ المجتمع المسلم في زمن النبي كان فيه ظاهرة النفاق، والتي انتهت

---

(١) الآية ٣ من سورة النجم.

بموت النبي، وارتدت كثير من قبائل العرب عن الإسلام.. أليس هذا مؤشراً على أن الخوف من التعرض للقتل هو الذي دفع الناس للنفاق؟! وأن الإسلام كان مفروضاً عليهم بالقوة؟! وأن الكثير من الناس كانوا غير مقتنعين به؟!

أليس هذا واضحاً حتى في مجتمعاتنا اليوم؟! فالكثير من الذين تركوا الإسلام لا يستطيعون التصريح بعقائدهم.. ألا يجعل ذلك الإسلام ضد حرية الفكر والاعتقاد، ويكوّن الأساس لخلق مجتمع منافق؟!

أليست العقيدة التي تفرض نفسها بالقوة وبالتهديد بقطع الرؤوس هي عقيدة ضعيفة خائفة، تعلم أن سرَّ بقائها هو إجبار أتباعها على عدم تركها؟!

١٠ ـ لا يوجد دليل واضح وصريح على أي عقيدة، والكتب السماوية مليئة بتناقضات وأخطاء (ظاهرية على الأقل)، لا يمكن رفعها إلا عن طريق محاولات التفسير والتأويل.. فما فائدة اعتناق عقيدة معينة؟! ولماذا عليَّ أن أصدق تبريرات عقيدة دون سواها؟!

وهل الحجة في كلام الله (النص المقدس)؟!

أم كلام البشر (العلماء والمفسرين)؟!

فهل من المعقول مثلاً لشخص وجد تناقضاً في القرآن فلم يؤمن به أن يحاسبه الله لأنه لم يقرأ تفسير ابن كثير مثلاً؟!

وكيف يحاسب الله الناس على أمر ليس فيه أدلة قطعية؟!

ولماذا وجدت هذه التناقضات الظاهرية في الأساس؟!

أليس من المفترض بالكتب السماوية: أن تكون خالية من الأخطاء،

باعتبارها وسيلة هداية؟!

١١ ـ كيف يمكن أن نجمع بين عدل الله، وحقيقة: أن معظم البشر تشكلت معظم قناعاتهم، وطريقة تفكيرهم، ورؤيتهم للأمور بفعل البيئة التي نشأوا فيها، وأن غالبيتهم (مسلمين وغير مسلمين) يتَّبعون الدين الذي ورثوه عن آبائهم، واطمئنوا له، وأصبحوا لا يتابعون أو لا يقرأون إلا كتب علماء طائفتهم.. وحتى إذا قرأوا عن غيرهم من الأديان يقرأون الكتب التي ألَّفها علماؤهم في تلك الأديان.. وبالتالي، فإن نظرتهم ستكون أحادية وليست شاملة؟!

أليس من عدل الله أن يكون حساب الجميع واحداً؟! وأنهم إما يدخلون النار جميعاً؟! أو الجنة جميعاً؟! فلا يوجد اختلاف بين عملهم، لكنهم ولدوا في بيئات مختلفة، وهذا خارج إرادتهم واختيارهم؟!

ماذا بخصوص الأقلية التي تجرأت وقرأت خارج موروثها الديني، واطَّلعت على ثقافات مختلفة، وحاولت أن تبحث بتجرد وصدق عن الحقيقة.. وقادها ذلك إلى نتائج مختلفة، فمنهم من اقتنع نتيجة بحثه بالإسلام، ومنهم من أصبح مسيحياً، وآخر أصبح يهودياً.. وربما لم يقتنع آخر بحجة الأديان، فأصبح ربوبياً، أو مشككاً، أو ملحداً؟!

أليس من عدل الله: أن يحاسبوا بنفس الطريقة؟!

فما هو ذنبهم إذا كانت رغبتهم في معرفة الحقيقة قادتهم لنتائج مختلفة، فليس كل الناس يمتلكون نفس الدرجة من الفهم وطريقة التفكير؟!

وبالتالي، فكيف يكون الدين الذي يصنِّف الناس إلى مؤمنين وكافرين،

ويحاسبهم وفقاً لذلك، منسجماً مع عدل الله؟!

ألن يكون حساب البشر ـ بغض النظر عن انتماءاتهم ـ على الأخلاق العامة البديهية أقرب لعدل الله؟!

١٢ ـ لماذا حمى الله بيته (الكعبة) عندما كانت مليئة بالأصنام في قصة أصحاب الفيل، ولم يحمها من السيول التي تعرضت لها أكثر من مرة عبر التاريخ، وهجوم القرامطة عليها، وسرقتهم، وكسرهم للحجر الأسود، وضياع قسم منه، وضرب الحجاج لها بالمنجنيق.. رغم أنها كانت مليئة بالموحدين؟!

١٣ ـ هناك تشابه كبير في كثير من العقائد والعبادات بين الإسلام والديانات المجوسية (الزرادشتية ١٥٠٠ ق.م والمانوية ٤٠٠م والتي أخذت من الزرادشتية).. ومع ذلك، فإن القرآن تجاهل ذكر أنبياء هذه الديانات، علماً أن الكثير من علماء المسلمين قالوا: بأن الزرادشتية مثلاً هي ديانة توحيدية، وأن زرادشت نبي..

والإسلام اشترك مع الزرادشتية في أمور لا نجدها في المسيحية واليهودية، التي جاءت بعد الزرادشتية، كالصلوات الخمسة، (وهي في نفس الأوقات، ما عدا العشاء، تصلى في الزرادشتية في منتصف الليل)، والوضوء بالماء قبل الصلاة، واعتكاف زرادشت في الغار قبل الوحي، والمعراج إلى السماء، ومفهوم الصراط.. وادِّعاء زرادشت بأنه خاتم الأنبياء.

كما أن الإسلام يشترك مع المانوية بالقول بتحريف التوراة والإنجيل، وأن المسيح لم يصلب، وأن ماني هو البارقليط الذي بشَّر به المسيح، والصلاة

في المانوية بنفس هيئات الصلاة في الإسلام (قيام وركوع وسجود)، وادِّعاء ماني أيضاً بأنه خاتم الأنبياء..

أليس هذا مؤشراً واضحاً: بأن الإسلام استنسخ هذه العقائد من المجوس؟!

١٤ ـ هناك آيات تنسب إلى الله أفعالاً أصبحت اليوم مجرد ظواهر، فهمها العلم وفسرها مثل: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾(١)، و ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا**﴾(٢)..

وهذه الظواهر موجودة حتى في باقي الكواكب التي تخلو من الحياة..

فما فائدة الرياح في هذه الكواكب؟!

ومن الذي سيخيفه الله بالبرق فيها؟!

كذلك موضوع رجم الجن والشياطين بالشهب ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾(٣)..

وقد كشف العلم: أن هذه مجرد أحجار، تدخل ضمن جاذبية الأرض، وتحترق في الغلاف الجوي، وأصبح العلماء يتوقعون عددها، ووقت حصولها بدقة، فما دخل الجن والشياطين بالموضوع؟!

ألا يدل ذلك، على أن العلم يكتشف شيئاً فشيئاً الكثير من الأمور التي

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ١٢ من سورة الرعد.

(٣) الآيتان ٨ و ٩ من سورة النجم.

كانت غيبية، وينسبها الإنسان إلى الله بتفسيرات تدل على فهمه المحدود في ذلك الوقت؟!

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنني سأحاول معالجة جميع الفقرات التي وردت في هذه الرسالة، وفق تسلسلها بحسب أرقامها المتقدمة، وهي أربعة عشر رقماً..

كما أنني أحب لفت نظر الأخ صاحب الرسالة إلى أنني حاولت في بعض الأحيان أن أصوغ مضمون الفقرة بعبارة تؤدي نفس المضمون، لكنها تزيدها وضوحاً في مغزاها ومرامها.. فلا يستوحش القارئ من ذلك، ولا يظن أنني حاولت التقليل من وقع السؤال، ومن وهجه في دلالته التي توخاها منه كاتبه.. بل إن عكس ذلك هو الصحيح، وهو الذي حدث.. ويمكن التأكد من ذلك بالمراجعة والمقارنة..

وبعدما تقدم نقول:

لقد وزعنا الأسئلة على خمسة فصول، وقد ضم:

الفصل الأول: الأسئلة الأربعة الأولى..

والفصل الثاني: ضم السؤالين: الخامس والسادس..

والفصل الثالث: السؤالين السابع والثامن..

والفصل الرابع: الأسئلة الثلاثة التي تليها.. وهي: التاسع، والعاشر، والحادي عشر..

والفصل الخامس: الأسئلة الثلاثة الأخيرة..

وقد أضفنا فصلاً سادساً، وذكرنا فيه ستة أسئلة أخرى قد وردتنا، ورأينا أنه يجب إضافتها إلى الكتاب، لأنها تتخذ نفس السياق، وتصب في نفس الاتجاه، فهي بمثابة ملحقات، أو توضيحات للأسئلة التي سبقت، كما ذكرنا سابقاً..

الفصل الأول

- السؤال الأول..
- السؤال الثاني..
- السؤال الثالث..
- السؤال الرابع..

الجواب على السؤال الأول:

إن السؤال الأول ينقسم إلى قسمين:

الله لا يحتاج إلى عبادتنا:

أحدهما: أن الله لا يحتاج إلى عبادتنا، فلماذا نعبده؟!

ونجيب:

إن عبادتنا لله تعالى ليست لأجل حاجة الله إليها، بل لأننا نحن بحاجة إليها، لتكون مظهر شكر، وامتنان له تعالى، نستنزل بها التوفيقات، ونستفيد منها المزيد من الألطاف، والنِّعم، والبركات منه تعالى..

كما أنها تمنحنا الرضا والطمأنينة، والشعور بالحماية والرعاية الإلهية، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[1]، وقال: ﴿**أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾[2]، وهي تحيي فينا المشاعر الإنسانية، وتغنينا روحياً، ونفسياً، وتمنحنا السكينة والطهر الوجداني، والسلام الروحي العميق.

كما أنها تؤهلنا للعيش الكريم في الآخرة، وتمنحنا السعادة فيها..

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الرعد.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الزمر.

يعذبنا على ترك ما لا يحتاجه:

الثاني: قولهم: لماذا يعذبنا الله إذا لم نفعل شيئاً لا يحتاجه أصلاً؟!

ونجيب:

بأننا إذا لم نعبده سبحانه، فإننا نكون قد أفسدنا حياتنا، وحياة غيرنا، وهدمنا وضيَّعنا ثمرات الجهود المتضافرة التي تحققت وبنت، وأوجدت، وشيّدت بالعرق، والتضحيات: بالأموال والأنفس، وبالآلام والمتاعب.. كل ما يسعد الإنسان، ويحقق آماله، وأحلامه، ويرفده بمؤهلات الخلود والبقاء، في رخاء وهناء في الدنيا والآخرة..

إن هذا العذاب هو ثمرات أعمالنا، كما ورد في الحديث الشريف: «إنما هي أعمالكم ردت إليكم»[1]، لأن عدم عبادته معناه: عدم طاعته، والتمرد عليه، وتضييع الغايات من الخلق ومن الحياة، وضياع دماء الشهداء، وبوار جهود الأصفياء..

وهذا التمرد يحرم البشرية وسائر الموجودات من المستقبل الرغيد، والعيش السعيد. وهذا أقبح مظاهر العدوان، ووجوه البغي.

ومن يتلقى إهانة، أو صفعة من أحد، فيسعى لإنزال العقوبة في من فعل

---

(١) التوحيد للمفضل ص٥٠ والحكايات للمفيد ص٨٥ وبحار الأنوار ج٣ ص٩٠ وج١٠ ص٤٥٤ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٦٦ وكنز الدقائق (تفسير) ج١ ص٢٨٤ وراجع: فيض القدير ج١ ص٣٤٢ وكشف الخفاء ج١ ص٢١٦ وج٢ ص٥٤ وتفسير الآلوسي ج٣٠ ص٧٩ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٣٧٩ وتاريخ ابن خلدون ج١ ص١٩٠.

ذلك، وليس من حق ذلك المعتدي الاعتراض، لكي لا يتحول ذلك المعتدي إلى باغٍ وطاغٍ يعيث في الأرض فساداً، ويهلك الحرث والنسل، من خلال عدم طاعته لربه، وامتثال أوامره ونواهيه..

على أن من يراجع قانون العقوبات يجد: أن أسبابها الرئيسة هي تلك التي تمثل عدواناً على الحقوق، وانتهاكاً للحرمات..

وقد قررت القاعدة التي أطلقها المشرِّع الحكيم، والعليم، والرحيم: أن الذنوب ثلاثة:

١ ـ ذنب لا يغفر، وهو الشرك بالله.

٢ ـ وذنب يغفر، وهو ظلم الإنسان لنفسه.

٣ ـ وذنب لا يترك، وهو ظلم الآخرين في أنفسهم وفي حقوقهم(١).

ثم إن الشارع الحكيم والرحيم قد فتح باب العودة من الغي والخطأ، بما يسمى التوبة من الذنب، وأثاب التائب بالمغفرة والرحمة، شرط إصلاحه ما يحتاج إلى إصلاح؛ وتدارك ما يحتاج إلى التدارك.. وموارد هذه التوبة تشمل جميع الذنوب حتى الشرك بالله، فإن من تاب منه يغفر له شركه القديم..

كما أن من ندم على مخالفاته في حق نفسه يكون ندمه عليها. وتوبته منها

---

(١) مجمع الزوائد ج١٠ ص٣٤٨ والمعجم الصغير ج١ ص٤٠ والمعجم الكبير ج٦ ص٢٥٢ والجامع الصغير ج١ ص٦٦٥ وكنز العمال ج٤ ص٢٣٤ والدر المنثور ج٢ ص١٧٠ وج٥ ص٣٤٨ وتاريخ بغداد ج٥ ص٩٣ وميزان الإعتدال ج٤ ص٤٢٦ ولسان الميزان ج٦ ص٢٨٨ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٨٢ وقوت القلوب ج٢ ص٢٥٢.

كافية في محوها..

وحتى بالنسبة لحق الغير الذي لا يترك، فإن ذلك الغير إذا عفا وسامح ذلك التائب النادم، فإن ذلك يعفيه من العقوبة أيضاً..

بل إن العقوبة في الدنيا التي يوجب العفو عنها اختلالاً عظيماً في النظام العام، ومفسدة كبيرة ـ إنها ـ إذا كانت مشفوعة بالندم والاستغفار، توجب له النجاة والمثوبة أيضاً في الآخرة.

الجواب على السؤال الثاني:

والسؤال الثاني ينحل إلى أسئلة عديدة، نذكرها ونجيب عنها كل سؤال على حدة، وسوف نلتزم فيها الترتيب الذي ورد في السؤال، فنقول:

عذاب من لم تبلغه الدعوة:

ألف: قول السائل: إن الله تعالى لم يوصل رسالته للعديد من الشعوب، لا عبرة به لما يلي:

أولاً: لأنه رجم بالغيب، فإن وسائل إيصال الدعوة كثيرة.

ثانياً: إنه تعالى يقول: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا**﴾(١).

ويقول: ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾(٢)، فعدم بلوغ الحجة يعفي من العقوبة، إلا إذا كان سببه التقصير، وعدم الاكتراث..

ثالثاً: إن المطلوب: هو أن يرسل الرسول للشعب أو للقوم، ويكون بحيث

---

(١) الآية ١٥ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ٢٤ من سورة فاطر.

يسمع به الجميع، ويكون من يسمع به قادراً على الوصول إليه، أو إلى ما جاء به.. إما بنفسه، أو بواسطة غيره.. فيجب عليه أن يفعل ذلك، ولا يجب على الرسول أن يذهب إلى كل بيت وكل حي، أو بلد، ويبلغ أهله ما أرسله الله به.

رابعاً: إن الدين الإسلامي يقول: إن الأمم والشعوب بملاحظة كثرة أعدادها، وتنوع مصالحها، وانتشارها في مختلف البلاد القريبة منها والبعيدة.. موظفة أيضاً بنشر الدعوة، وتبليغ أحكام الله للناس، والتعريف برسله وأنبيائه، ولا ينحصر الأمر بشخص نبي، أو رسول بعينه، فقد قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾(٢).

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بلِّغوا عني ولو آية(٣).

لأن تبليغ الآية يثير التساؤلات، ويحمل الناس على البحث والتحري عما وراء هذه الآية..

على أنه ليس ثمة ما يلزم أن يكون بلوغ دعوة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى الناس في نفس لحظة نزول الوحي عليه «صلى الله عليه وآله»، بل يكون انتشار الدعوة تدريجياً، وفق الظروف الطبيعية التي تمر بها، ولذلك

---

(١) الآية ١١٠ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ١٤٣ من سورة البقرة.

(٣) الإختصاص ص٢٦٤ عن ابن عباس، وبحار الأنوار ج٥ ص١٢ وج١١ ص٣٢ وج٧٤ ص٧١ عن الخصال، ومعاني الأخبار ج١٧ ص١٣٢.

أرسل «صلى الله عليه وآله» كتب إبلاغ أمر بعثته إلى كسرى وقيصر، بعد ما يقرب من عقدين من الزمن.. ومن شأن هذا الإبلاغ: أن يشيع وينتشر، بين شرائح كبيرة في المجتمعات التي يحكمها أولئك الملوك..

وبذلك تصبح المسؤولية في البحث عن هذا النبي، وما جاء به على عاتق من سمع بهذا الأمر، وقد يتهامل هؤلاء في متابعة الأمر، انصرافاً منهم لشؤونهم الخاصة، فيأتي دور الحكام بعد رسول الله، ومعهم سائر المسلمين أنفسهم، ليبلغوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ولو آية.. كل بحسب ما يتيسر له، فمن قصَّر في ذلك تحمَّل وزر تقصيره..

وقد تشغل الناس أمور الدنيا، أو يشغلهم حكامهم الظالمون والغاصبون عن واجباتهم، ويدخلونهم في حروب صعبة، وظروف قلقة، فتتأخر حركتهم، وتضيع جهودهم في الخلافات الداخلية، ولا يقع ذنب ذلك على الإسلام، بل على المسلمين.. ومع ذلك، فإن لنا مع حركة ومسار التاريخ شاهد صدق على ما نقول، فإن الإسلام دخل أفريقيا، ومناطق كثيرة أخرى في العالم من خلال التجار، والمسافرين الذين وصلوا إليها، وقاموا بما يجب عليهم فيها.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن من لم تبلغه الدعوة، ولم يكن مقصِّراً، فإنه يكون معذوراً، إلا فيما لا عذر فيه لأحد، مما تستقل به العقول، وتدعو له الفطرة.

وها نحن نرى: أن أتباع النبي عيسى، والنبي محمد «صلى الله عليه وآله» صاروا يعدُّون بالمليارات، كما أن أتباع بوذا، الذي قال بعضهم: إنه نبي قد يعدُّون بالمليارات أيضاً.

خامساً: إن هذا الإنسان المحدود جداً في قدراته وطاقاته ومعارفه، والضعيف في وسائله، استطاع أن يحقق إنجازات هائلة في عالم الاتصالات، وفي التغلب على المصاعب، وإخضاع بعض السنن لسلطة السنن الأقوى، والأرقى، فمن الذي قال: إن خالق الكون وواضع سننه، والمودع فيه أسراره الدقيقة والعميقة غير قادر على تجهيز أنبيائه ورسله بما يمكنهم من إيصال صوتهم، ووصولهم إلى جميع أهل الأرض لإبلاغ رسالات ربهم؟!

يضاف إلى ذلك: وجود روايات كثيرة عن معرفة الأئمة والأنبياء «عليهم السلام» بجميع لغات أهل الأرض، فضلاً عن لغات سائر المخلوقات من الحيوانات، والجمادات، وغير ذلك[1].

وقد ذكرنا في كتابنا: «المعجزات» بعض ما دل على أن الأئمة «عليهم السلام» كانوا يعرفون أناساً جاء بهم خلفاء بني العباس من بلاد بعيدة جداً.. فظهر أنهم يعرفون الأئمة، ويعترفون بفضلهم العميم والعظيم عليهم.

لماذا الأنبياء في الشرق الأوسط؟!:

ب: بالنسبة لقول السائل لماذا كل الأنبياء الذين ذكرهم القرآن قد بعثوا في منطقة الشرق الأوسط، مع أن النبي مرسل للبشر جميعاً.. ولماذا أهمل الله سائر الأمم؟!

ونجيب:

---

(١) راجع في ذلك: بحار الأنوار ج٢٦ ص١٩٠ وج٤١ ص٢٨٣ وج٤٧ ص٦٣ و ٩٩ وج٢٨ ص١٠٠ وج١٦ ص٨٢ وج٤٩ ص٨٧ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٥١ وبصائر الدرجات باب ١١ و ١٢ ص٣٥٣ ـ ٣٦٠.

أولاً: إن الأنبياء والمرسلين كثيرون، ولا ينحصر الأمر بالمذكورين في القرآن، فقد ورد في الأخبار أن الله أرسل مئة وأربعة وعشرين ألف نبي.

وقيل: أرسل مئة وأربعين ألفاً.

وقيل: أرسل ثلاثمئة وعشرين ألفاً..

والمرسلون منهم ثلاثمئة، وبضعة عشر[١]..

وقد قال تعالى: ﴿**مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾[٢].

فلم يعد للسؤال عن سبب عدم ذكر أنبياء ورسل آخرين مورد أو مبرر..

ثانياً: إن الأنبياء المذكورين في القرآن لا يزيد عددهم على خمسة وعشرين نبياً، فيهم من ليس عربياً، فمثلاً لقد روي عن ابن عباس أنه قال: «خمسة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد «صلى الله عليهم»، وخمسة عبرانيون: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم «عليهم السلام»..»[٣].

وقال بعضهم: خمسة من الأنبياء سريانيون: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم «عليهم السلام».. [إلى أن قال]: وكان خمسة منهم عبرانيون: إسحاق، ويعقوب، وموسى، وداود، وعيسى «عليهم السلام»..

ومن العرب: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد «عليه وعلى آله، وعليهم السلام»[٤].

---

(١) الإختصاص ص٢٦٣ وبحار الأنوار ج٥ ص١٦ وج١٦ ص٣٥.

(٢) الآية ٧٨ من سورة غافر.

(٣) الإختصاص ص٢٦٤ وبحار الأنوار ج٥ ص١٢.

(٤) الإختصاص ص٢٦٤ و ٢٦٥ وبحار الأنوار ج١١ ص٥٦ وراجع ص٣٢

ثالثاً: إن من الطبيعي أن يُبعث الرسول في المنطقة التي يختارها الله تعالى له، لتكون هي المركز الذي تهفو إليه القلوب، وتنشدُّ إليه الأنظار، ليكون هو المنطلق لقيادة العالم ما دام أن الرسول مبعوث للعالمين جميعاً.. ولقيادة المنطقة إذا كان مبعوثاً لقوم بخصوصهم.

وقد جعل الله تبارك وتعالى «الكعبة» هي المحور ونقطة الارتكاز، وهي قبلة المصلين في جميع بقاع الأرض. وإليها يحجّ الناس لنيل بركاتها، وليتعارفوا وليشعروا بالقوة والعزة، ولتنفتح قلوبهم، وعقولهم على العالم كله. ولتنطلق آمالهم الخيِّرة، وأفكارهم النيِّرة في رحاب هذا الكون كله..

وليكون لهم رب واحد، ودين واحد، وهدف واحد، وقبلة واحدة، وكتاب واحد، ومصير واحد، ولغة واحدة، وثقافة واحدة، وقرار واحد، وليكونوا كالجسد الواحد، القوي، الذي يشد بعضه أزر بعض قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾(١).

وأي تجزئة تحصل في أي من هذه الأمور، فإنها ليس فقط سوف تنتهي إلى خصام، وإلى تنافس مستبطن للاستئثار، والإنطواء عن الآخرين، أو عن شريحة منهم، بل إلى الضعف، وشيوع الأمراض، وهيمنة التخلف، عوضاً عن التعاون على الخير، والبذل والعطاء..

بالإضافة إلى سلبيات كثيرة أخرى.. نشهد في عالمنا الحاضر مآسيها،

وج٧٤ ص٧١ وراجع: المعارف لابن قتيبة ص٥٦ والبدء والتاريخ ج٣ ص١.

(١) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.

وتعصف بنا صراعاتها التي نتوقع أن تدمر كل شيء.

إهمال الهنود الحمر:

ج: وقد لفت نظرنا حديث هؤلاء عن الهنود الحمر في الأميركيتين، وأنهم كانوا وثنيين، ولم تصلهم الرسالة، وعاملهم الله بالإهمال، بالرغم من أن الله أرسل الرسل إلى الفرس والروم والأقباط..

فنلاحظ على كلامهم هذا:

أولاً: أنه تعالى قد صرَّح: بأنه قد أرسل النبي محمداً للعالمين، فقال: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾(١).

وقال: ﴿لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢).

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٣).

وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٤).

والهادون للبشر لا يجب أن يكونوا رسلاً، بل قد يكونون مرتبطين بالرسل.

فلماذا يقول هؤلاء: إن الله أرسل رسله إلى خصوص الفرس، والروم والأقباط؟! فلعل الله جعل لهم من الهداة من أقام الحجة عليهم..

ثانياً: بالنسبة للهنود الحمر في الأميركيتين نقول: لا بد أن يثبت هذا السائل:

---

(١) الآية ٣٦ من سورة المدثر.

(٢) الآية ١ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء.

(٤) الآية ٧ من سورة الرعد.

أنهم كانوا موجودين في تلك البقاع قبل خمس مئة سنة، فضلاً عن ألف وأربع مئة وثلاثين سنة.

ثالثاً: لنفترض أن الهنود الحمر كانوا موجودين في الأميركيتين حتى قبل ألف وأربع مئة وثلاثين سنة..

ولكننا نقول لهؤلاء: ما الدليل على أن الرسل لم يصلوا إليهم، ولم يدعوهم للإيمان؟!

فلعلهم دعوهم ورفضوا القبول، كما رفضت ذلك فئات أخرى وقتلت أنبياءها ودعاتها إلى الله..

وهذا ما شاهدناه من بعض القبائل، التي كان بعضها يعيش في بلاد نائية.

رابعاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كما أرسل رسائل للفرس، والأقباط والروم فقد أرسل أيضاً رسالة لملك الحبشة، في أفريقية، وقد استجاب له ملك الحبشة، وأسلم.

خامساً: إن عدم وجود رسائل بين أيدينا من النبي لهذه الأمة أو تلك لا يدل على أن ما نزل على النبي من قرآن، وما بلغه النبي «صلى الله عليه وآله» من أوامر وزواجر، ومن حقائق ومعارف لم تبلغهم.. بل لا يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرسل كتب دعوة إلى غير هؤلاء الثلاثة، فإن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

بل هو قرينة على اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بإيصال صدى بعثته وخبر دعوته إلى مختلف بقاع الأرض، على أن إخطار كسرى وقيصر، والمقوقس أعظم ملوك الدنيا، لا بد أن يذاع ويشاع، ويطرق أسماع أكثر أهل الأرض،

وتصير المسؤولية على الناس أنفسهم، بعد هذا: بأن يجد السبيل للاطِّلاع على ما جاء به «صلى الله عليه وآله».. وهذا ما تدعوهم إليه عقولهم..

والدليل على ذلك: أن سلمان الفارسي قد تحمل المشاق الكثيرة والكبيرة، وهاجر في البلاد، وتحمل الأخطار بحثاً عن دين الحق.. وقصة نصارى نجران وغيرهم، حيث كانوا يقدمون إلى المدينة، وكانت المناظرات الكبيرة جداً تحصل باستمرار طيلة عشرات السنين، بل مئات السنين، بل وإلى يومنا هذا، بحثاً عن الدين الحق..

وهذا يدل على أن الإنسان بفطرته، وبحكم عقله هو الذي ينشرها، ويُسعَدُ بها، ويريد أن يُسْعِدَ بها الآخرين..

ولعله أرسله إليهم، ولم يعلن ذلك..

الجواب على السؤال الثالث:

ثم إن السؤال الثالث ينحلّ إلى أكثر من سؤال، فلاحظ ما يلي:

الأب لا يحرق أولاده:

ألف: ورد في هذا السؤال: أن الأب لا يحرق ولده حتى لو أنكره، وفعل وما فعل، فلماذا يخلد الله من لا يؤمن بألوهيته في النار عقوبة له؟!

ونجيب:

أولاً: بأن علاقة الأب بولده في هذا المورد بالخصوص علاقة ناشئة عن الأنا، وحب الذات، لأنه يرى أن ولده امتداد له، وجزء منه، فالتخلي عنه كأنه تخلى عن نفسه.. ويرى أن ولده لو أحرق ولداً آخر بالنار، أو أن الأب

نفسه فعل ذلك، لم يرضى بتسليم نفسه، أو ولده للإحراق، لأنه يرى أن عقوبته له عقوبة لنفسه وشخصه.. ولاسيما إذا كانت العقوبة تساوق تقويض وجوده، كإحراق ولده بالنار إلى الأبد، ولا يرضى الإنسان بأن يعاقب نفسه بها أو من هو جزء منه بعقوبة كهذه.

ولكن علاقة الله بعباده ليست كذلك، بل هي علاقة الخالق بالمخلوق، الذي يريد منه أن يسهم في إعمار الكون، وفي تحقيق الكمال لكل ما فيه، ويحفظ جهود الصالحين والمصلحين، ويشارك في رسم معالم السعادة، والخير للبشر كلهم في الدنيا والآخرة.

فإذا كان هذا المخلوق عنصراً فاسداً ومفسداً، وظالماً، ومعتدياً، ومدمراً لكل نبضات الحياة، ويبدل سعادة البشر بالشقاء، والتعب بالعناء، والسلامة بالبلاء، فلا بد من الأخذ على يده بالوسائل الرادعة. وإن لم تفلح تلك الوسائل، فإن آخر الدواء الكي..

وعقوبة المجرم أمر متسالم عليه بين العقلاء، وهم يرون: أن هذا هو الذي يحفظ للناس سلامتهم وكرامتهم، وأمنهم وسعادتهم.

ثانياً: أنه يفترض أن تكون العقوبة متوافقة مع حجم الجريمة وهذا هو ما نطق به القرآن حيث يقول: ﴿**جَزَاءً وِفَاقًا**﴾(١).

ويقول: ﴿**وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾(٢).

---

(١) الآية ٢٦ من سورة النبأ.

(٢) الآية ٤٥ من سورة المائدة.

ويقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[١].

فمن فقأ عين إنسان، أو قطع يده، أو قتله، فقد حرمه من يده أو عينه، أو من الحياة إلى الأبد، فلا بد أن يعاقب بما يكون فيه حرمان له من عينه، أو من يده، أو من حياته إلى الأبد..

ومن أحدث فساداً في حياة الناس العامة، أو أضلهم عن طريق الهدى، فإن هذا يحرمهم من رضا الله، ومن السعادة إلى أبد الآبدين، فإن كانت آثار إفساده لحياة الناس تمتد إلى ما بعد الموت، وتخل بسعادتهم في الآخرة، وتدخلهم النار، فلا بد من عقوبته في الآخرة أيضاً، بما يتناسب مع هذه الجريمة التي ارتكبها، فالضلال والتمرد على الله ممن لم يعترف به، ولم يطعه يوجب العقوبة الدائمة، كما أن من أحدث هذا الضلال ونشره في الناس يجب أن يعاقب عقوبة دائمة أيضاً.

عقوبة منكر الألوهية خلاف الرحمة:

ب: بالنسبة لقول السائل: إذا كان الله تعالى أرحم بالعباد من الأب والأم بولدها، فإن عقوبة الله لمن لا يؤمن بألوهيته بالخلود في النار ينافي هذه الرحمة.. نقول:

أولاً: إن ما ذكرناه آنفاً يكفي لبيان عدم صحة هذا الكلام، للفرق بين رحمة الوالدين، التي تنتهي إلى ما يدخل في دائرة حب الذات، والتماس المعاذير لها من منطلق الأنانية وحب السلامة، ومن موقع رعاية المصلحة العائدة

---

(١) الآية ٤٩ من سورة الكهف.

للأب والأم من خلال ولدهما، وبين الرحمة الإلهية التي تعني التدبير لمخلوقاته، من موقع رعاية المصلحة للمخلوق، أو من هو بمنزلة الولد.. إن جاز التعبير.

ثانياً: ذكرنا فيما سبق: أن عدم الإيمان بالألوهية.. يساوق عدم رعاية أهدافه تعالى، والتمرد عليه، والعمل على إفساد تدبيره، وتشجيع الآخرين على التأسي به، والإتباع له.. وغير ذلك من مفاسد أشرنا إليها، وقلنا: إن عقوبة ذلك المتمرد: هو الخلود في العذاب، بسبب خلود أثر هذا الفساد والإفساد، ولا بد من التوافق والتناسب بين الجريمة وبين العقاب.

دليل الأبوة أقوى من دليل الألوهية:

ج: أما قولهم في السؤال: الدليل على أبوتنا لأبنائنا أقوى من الدليل على ألوهية الله لنا..

فنجيب عنه:

أولاً: إننا قد عرفنا الفرق الأساسي بين أبوة الأب، وبين ألوهية الخالق القادر المختار..

ثانياً: إن القول بأقوائية أبوتنا لأبنائنا مصادرة على المطلوب، فإن ما ذكرناه قد أوضح: أن هذه الأقوائية مجرد دعوى لا تستند إلى دليل.. وما قالوه في ذلك ضعيف وعليل، وتضليل هزيل..

فإن الإنسان يدرك الخالق بفطرته ويؤكد من حاجته وافتقاره إليه، في كل نفس يتنفسه، وكل حركة يتحركها، وسيبقى هذا الشعور معه إلى آخر لحظة، حتى حين يكون أبوه معه، وبعد رحيله عنه، فإنه يعرف بفطرته: أن كل ما هو فيه، وما يكون عليه، ويؤول إليه هو بيد الله سبحانه..

فالألوهية أكثر ارتباطاً به، وأبعد أثراً في حياته، وفي كل ما يعرض له، وما يأمل به، وما يؤول إليه.. وتغييب دور الفطرة، اتِّباعاً للأهواء والشهوات والعصبيات والمصالح هو مثل تغييب العقل، لنفس الأسباب.. وهو في كلا الحالتين يبقى تغييباً مؤقتاً ومحدوداً.. فلا يجب أن نتوهم انتهاء دور الفطرة والعقل بذلك..

بل إن الناس الذين يتحدثون عن قوة علاقة الأبوة يواجهون خطر إسقاط الأبوة وعلاقاتها من الحساب بصورة نهائية، فإذا انضم إلى ذلك جحود دور العقل والفطرة.. فعلى كل الآمال بالسعادة، والفوز ألف سلام وسلام..

يضاف إلى ذلك: أن الأب لم يعاقب ولده له، لأنه لا يعرف مصلحة ولده، أو أنه يعرفها ويتغاضى عنها، انسياقاً مع العاطفة وهوى النفس.. فأنانيته، وعدم رغبته في أن يتألم لألم ولده دعاه إلى عدم معاقبته، فيكون في النتيجة قد آثر نفسه على ولده، وجعل عدله وإنصافه وحكمته فداءً وضحيةً لأنانيته..

ثالثاً: تقدم: أن احتمال الألوهية يكفي ذا العقل الرشيد، والرأي السديد إلى الالتزام بمقتضيات هذا الاحتمال، وهو: أن يعمل بما يوجب الأمن إذا ظهر واقعية هذا الاحتمال، وليس كذلك الحال بالنسبة للأبوة، فلو أن الولد أنكر تلك الأبوة، استناداً إلى شهود، أو إلى قرائن، وظواهر، فلا خطر عليه، إن لم نقل: إنه قد يكون هناك خطر في الاعتراف بها..

أما الألوهية، فإن في إنكارها خطراً شديداً وأكيداً، ولا بد من الانصياع للاحتمال، ومراعاته في جميع الأحوال.

الجواب على السؤال الرابع:

العقاب أكبر من الجريمة:

وعن قولهم: إن العقاب الأبدي لا يكون عادلاً لأي جريمة ارتكبت، فكيف نصف الله بالعادل والرحيم؟!

نجيب:

أولاً: بما تقدم، من أن الجريمة لا تقاس بمقدار ما أمضى المجرم من وقت في ارتكابها بل تقاس بآثارها المادية والمعنوية، وما أحدثته من دمار، ومدى بقاء ذلك الدمار والبوار..

ثانياً: علينا أن نسأل هؤلاء: لماذا لا يطالبون الدول بإلغاء عقوبة الإعدام التي يجازى بها مرتكبو جريمة الخيانة العظمى ويعاقبون بها، أو بالسجن المؤبد الذي قد يمتد عشرات السنين.. وكذلك العقوبات التي تتمثل بالحرمان من بعض الحقوق المدنية، والعقوبة بالإبعاد والنفي، والعقوبة بالإقامة الجبرية، والتجريد من الجنسية، وكذلك الحال فيما يرتبط بالعقوبات المالية.. وغير ذلك فإن في ذلك كله معنى الديمومة والاستمرار في بعض وجوهه، وآثاره، لا يعقبه تعويض بشيء، بل هو فقدان دائم لا يجبره شيء بعد ذلك..

ثالثاً: إن العدل إنما يتحقق بالعمل على إيجاد الخصوصية المشتركة بين الجريمة وعقابها.. ولاسيما فيما يرتبط بالبقاء والديمومة للآثار، وحجم تداعياتها السلبية، فمن قتل نفساً بغير حق، فلا يوازي جريمته هذه إلا قتله.. ولأن قتل القصاص كان حقاً، فإنه لا يوازي الجريمة، لأنها قتل عدواني.. فلا يحصل التكافؤ بمجرد القتل، إذ يبقى العدوان الذي هو خرق للنظام

العام بلا مقابل، فتأتي العقوبة في الآخرة لتجبر هذا النقص، وتسد هذه الثغرة.

وكما ترفع العقوبة في الحق العام، بالعفو ممن له العفو، إذا استحق المعفو عنه ذلك: بأن ظهر صلاحه، أو ضمنه ضامن ذو شأن، فإن العقوبة الأخروية ترفع أيضاً بالعفو لأجل الشفاعة، أو لأجل ظهور الصلاح في الذي يتعرض للعقاب، الذي يتجلى بالندم والتوبة، والاستغفار بعد ظهور أن العقوبة قد تركت أثرها، واستنفدت، أو فقل: استوفت وحققت أغراضها.

رابعاً: إن العدل هو إيصال الحقوق إلى أهلها، كبرت أو صغرت.. وقلَّت، أو كثرت.. وإجراء القانون على جميع موارده ومنطبقاته.. من دون حيف على أحد، أو انتقاص من حق أحد، لا لمنفعة شخصية، ولا استجابة لقسوة في قلب المجري.. فمن فعل ذلك، فهو عادل، وإذا كان رحيماً، فلا يضر هذا العدل في رحمته، ولا يتناقض معها.

بل الظلم هو الذي يناقض الرحمة، لأن ما يزعمون أنه رحمة بالمجرم فيه تضييع للحق، وحرمان من فوائده وعوائده، وإبعاد للمخلصين الواعين عن دائرة التأثير في توجيه الناس نحو ما ينجيهم ويسعدهم.. وهذه جريمة عظيمة لا ينبغي لأحد أن يستهين بها.

خامساً: إن الخلود في النار ليس عقوبة على جميع الذنوب، ولذلك قال تعالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾[1]، وقد روي عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: «لا يخلِّد الله في النار إلا أهل الكفر

---

(١) الآية ٨٢ من سورة طه.

والجحود، وأهل الضلال والشرك»[١].

إلا إذا فرض أن الكافر كان معذوراً في كفره بسبب غفلته المطبقة، أو بسبب ظهور موانع من وصول الدعوة إليه.. بسبب منع الطغاة والجبارين من وصولها، أو منع الناس من التفاعل معها، ومن الاطِّلاع على حقائقها، مما أوجب تلويث فطرة الناس بأسباب خارجة عن اختيارهم.. ولكن من يعرف الحق ويجحده، ويختار طريق الضلال عن علم وبصيرة، رغبة في حطام الدنيا، وانسياقاً مع العصبيات والأهواء هو الذي يعاقب بالخلود في النار، ويشهد لذلك أيضاً: أن النواصب يخلَّدون في النار، وجاحدوا ولاية أمير المؤمنين عن علم ومعرفة وإصرار[٢]..

وكذلك الحال بالنسبة للشرك، فإن فيه معاندة للفطرة، واستهتاراً بالعقل، فلا يعذر فيه أحد.

وفي دعاء كميل: «أقسمت أن تملأها من الكافرين، من الجنة والناس أجمعين، وأن تخلد فيها المعاندين».

وهناك موارد أخرى، مثل قتل المؤمن عن عمد وقصد، فقد قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾[٣].. إلا إذا أدركته التوبة والشفاعة لبعض الأسباب التي ذكرت في النصوص كما أشرنا إليه.

---

(١) بحار الأنوار ج٨ ص٣٥١.

(٢) بحار الأنوار ج٨ ص٣٦٢ وص٣٦٩ و٣٥٦ و٣٥٨ وج٦٩ ص١٣٥ وج٣٠ ص٢٢١.

(٣) الآية ٩٣ من سورة النساء.

سادساً: إننا لو خيَّرنا شخصاً يعاني من مرض مزمن وآلام مستمرة، يعلم أنه لن يشفى منها ـ لو خيَّرناه ـ بين الموت وبين بقائه حياً، يعاني من مرضه ذاك، فإن عامة عقلاء البشر سوف يختارون الحياة، بل إن أكثرهم سوف يبذلون الغالي والنفيس من أجل البقاء، برغم الآلام التي يعانون منها، بل قد تجد فيهم من سوف يكافحون ويقاتلون، ويقتلون من يحاول انتزاع أرواحهم منهم، ويرون أن ذلك من حقهم.

وقوانين البشر الوضعية تحميهم في موقفهم هذا، وتعطيهم الحق، وتعذرهم في ما يصدر عنهم، وما يتمخض عنه دفاعهم هذا عن أنفسهم.

فالرحمة التي تدفع إلى تخليص هذا المريض الذي قاسى الآلام المبرحة.. يراها المريض ظلماً، وعقلاء البشر يرفضونها، ويفضلون جريمة القتل لهذا الراحم، لأنه أراد أن يمارس رحمته..

الفصل الثاني

ـ السؤال الخامس..

ـ السؤال السادس..

الجواب على السؤال الخامس:

وقد تضمن السؤال الخامس ما يلي:

لعل الأديان وحي شيطاني:

ألف: قول هذا القائل: لعل الأديان جاءت بوحي شيطاني..

ويجاب عنه:

أولاً: بأن هذا الاحتمال ليس بأولى من احتمال: أن يكون نفس هذا القول من هؤلاء قد جاء بوحي شيطاني بغيض.

ثانياً: إن الأديان الصحيحة هي التي يستطيع روَّادها، وأنبياؤها إثبات صدقهم، بواسطة المعجزة التي يعجز عنها البشر، كفلق البحر لموسى «عليه السلام»، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى لعيسى «عليه السلام».. وصيرورة النار برداً وسلاماً على إبراهيم «عليه السلام». حين ألقاه النمرود وقومه فيها لإحراقه، وغير ذلك..

وكذلك الحال بالنسبة للقرآن الذي جاء به النبي محمد «صلى الله عليه وآله» وحديث المعراج.. وتسبيح الحصى بيده، وما إلى ذلك..

فبعد ظهور المعجزات والآيات، والدلالات، والشواهد لا يبقى مجال

للحديث عن احتمال أن تكون الأديان بوحي شيطاني.

في حين أن احتمال أن يكون الدين الذي أثبت نفسه بالمعجزة كان بوحي شيطاني.. لا يستند إلى أي شاهد.. وهذا يدل على أن احتمالهم هذا هو الوحي الشيطاني بعينه، لأن معجزة الدين الحق قد دلَّت على هذه الصفة في هذا الاحتمال.

ثالثاً: إن الشيطان موجود لديه عقل، يمكنه أن يستفيد منه، ولكن أهدافه الشريرة تجعله يوظِّف عقله في إنتاج الشرور، والسعي إلى هدم بناء شامخ، وتقويض عز باذخ، واقتلاع مجد راسخ، والعبث بالناس بالترهات والأباطيل، وإشغالهم بالتفاهات والأضاليل..

والسؤال هنا: هو لماذا يشغل الشيطان نفسه في دعوة الناس إلى الكفر بالله، والشرك به؟!

ولماذا يريد الشيطان إبعاد الناس عن الله، وعن دينه؟! وكيف يكون ذلك مما يسعده، ويحقق له طموحاته في الضلال والإضلال؟!

رابعاً: إن المفروض عند من ينكر الأديان: أن لا يؤمن بوجود ملك، أو شيطان، لأن معنى كونه شيطاناً: أنه يسعى لإبطال الحق، وتقوية الباطل.. فإن كانت الأديان حقاً، فيفترض بالشيطان أن يسعى لإبطالها.. وإن كانت باطلاً، فأين هو الحق الذي يريد أن يزيله الشيطان، ليقيم الأديان الشيطانية مقامه؟!

ولنا أن نسأل هؤلاء: لمصلحة من يعمل هذا الشيطان؟! وضد من؟! فإن الشيطان يسعى ليفسد أعمال الأديان، فيأتي بالأديان الشيطانية لأجل ذلك.. فسؤالنا هو: لماذا يعادي الشيطان أعداء الأديان؟!

وما الذي دعاه إلى كرههم ومعاداتهم؟!

ولماذا لا يكون عداؤه لله ولرسوله هو الذي دفعه للوسوسة، فهؤلاء بهذه الأفكار التي انتهت بهم إلى عِدائهم للأديان وأهلها، ولاسيما الإسلام منها؟!

أهداف الوحي الشيطاني بالأديان:

ب: يقول هؤلاء: إن هدف الوحي الشيطاني بالأديان هو الأمور التالية:

١ ـ إبعاد الناس عن الخالق الحقيقي.

٢ ـ تفريق الناس، وإثارة الفتنة بينهم، وسفك دمائهم.

٣ ـ إبعادهم عن الإنسانية المجرَّدة، التي تجمع الجميع تحت ظلها.. وهذا ما شاهدناه عبر عصور.

والحال: أن الخالق يريدنا أن نصل إليه وإلى حقيقته بأنفسنا.

ويجاب بما يلي:

أولاً: إن المقصود بالخالق الحقيقي في كلام هؤلاء: إن كان هو الخالق العاطل عن العمل، الذي فوض الأمر إليهم، ليستفيدوا من عقولهم وأهوائهم في إدارة الكون، فنحن نطالبهم بإبراز هذا التفويض، ثم عليهم أن يجيبوا على الإشكالات المقبولة والمعقولة، التي تتبع هذا الاتجاه من التفكير، والنظريات.

وإن كان إلههم هو الطبيعة المادية التي تتطور عبر مليارات المليارات من السنين حسب ما يدَّعي بعضهم.. فإن هذا التطور إنما هو تحوُّل في شيء موجود، وليس هو الإيجاد من العدم، والإبداع لنفس المادة والطبيعة..

ثانياً: وبناء على هذا الاحتمال الثاني أيضاً نقول:

إن التحولات الناتجة عن تطاول الزمان، تحصل بفعل عوامل اقتضتها مثل الحركة التي عرضت للمتحول ولازمته، أو التصادم والتجاذب، والإحتكاك، والتأثر والتأثير بالغير، كالهواء أو الماء، أو الغازات، أو الإشعاعات المتنوعة، أو غير ذلك مما يملأ الفضاء، ويزخر به الوجود.

ثالثاً: وفي نفس السياق نشير أيضاً إلى أن المادة والطبيعة الفاقدة للعقل والعلم، والقدرة، والحكمة، والاختيار، والإدراك لا يمكن أن تصنع كوناً بهذه التعقيدات الهائلة، والنظم الدقيقة، والأسرار والعجائب.

رابعاً: إذا كان هؤلاء يقولون بهذا القول، فلنا أن نسألهم: من أين علم هؤلاء، وهل أثبتوا بالدليل الناصع، والبرهان القاطع: أن الخلق والوجود حدث بهذه الطريقة، أو تلك، ثم تبع ذلك التدبير والرعاية، والنظم، وما إلى ذلك.. وإن الأمور لسوف تبقى كذلك؟!

أم يكتفون بالعدو وراء إبداء الاحتمالات، واللهاث المضني في اجتراح الافتراضات الخاوية عن أي مضمون علمي، يدل على صحة تلك الافتراضات، أو وقوعها، أو يعطي مسحة قوة لتلك الإحتمالات؟!

خامساً: إن ما ذكره هؤلاء عن سفك الدماء، وثوران الفتن، والتفرق والتمزق الإجتماعي هو في الماديين كما هو في الإلهيين.. بل إن سلبيات هذا الفكر المادي في الواقع الإجتماعي أكبر، وأكثر، وأخطر، وأشر، وأضر، وأمرّ.. فهذا من تسويلات الشيطان، الذي يحب التمزيق والتفريق، وسفك الدماء لجميع الناس، ويحب الفتن لأجل الفتن، فما هذه السادية المتعاظمة لديه، والمهيمنة عليه؟!

بل إن المصائب والبلايا، والحروب والرزايا، والمحن والفتن بين الماديين هي الأعتى، والأشد، والأكثر فظاعة، وبشاعة وشناعة منها بين أهل الأديان، لأن لدى أهل الأديان قدراً من القيم، ومن المشاعر الإنسانية، والسلوكيات الأخلاقية.. فيما ليس لدى الماديون منه إلا النزر اليسير.. ويكون بالتالي الماديون أضعف أثراً في سلوكهم وفي تعاملهم في حياتهم العامة..

وقد أصبحت المصالح لدى هؤلاء هي أقصى طموحاتهم، وموضع جهدهم، وهدف سعيهم.. فأصبحوا بذلك عبيداً للأغنياء والأقوياء، والجهلة، والأغبياء، لأن المصالح التي عبدوها ليست هي مصالح الأمة، بل هي المصالح الشخصية، المغموسة بالأطماع، والمضمخة بالشهوات والأهواء.. إلا في أقل القليل منهم..

والشاهد الذي استشهد به المستدل، وقال: إنه هو ما جرى عبر العصور والدهور، يؤكده هو.. والحال الحاضرة، والمعاصرة تشهد على صحة ما قلناه، فليستقرؤا أحوال الأمم، وما يجري في طول البلاد وعرضها، ولينظروا إلى حقيقة الذين يدبِّرون الأمور ويديرونها في شرق الأرض وغربها..

الجواب على السؤال السادس:

ثم كان السؤال السادس عن سعي الإسلام لحل مشكلة العبودية، وقد تضمن هذا السؤال أموراً كثيرة، نحتاج إلى الكلام عن كل واحدة منها على حدة، وذلك كما يلي:

الإسلام يريد بقاء العبودية:

ألف: قالوا: إذا كان الإسلام يريد حلَّ مشكلة العبودية على المدى البعيد،

فلماذا استمر في السبي؟!

ونجيب:

أولاً: إن السبي والعبودية كان يمارس في المجتمعات المختلفة، بحرب ومن دون حرب، وعلينا قبل كل شيء: أن نحدد الموقف من السبي، وفق منظومة القيم التي نؤمن بها، ونلتزم بمقتضياتها، فنقول:

إننا إذا كنَّا لا نعترف بوجود خالق للكون، مريد مختار، وعالم، وقادر، ومدبر، وله هدف من هذا الخلق.. فإن القيمة في حياتنا ستكون لمصالحنا، وشهواتنا، وأهوائنا، وتسخير كل ما تصل إليه يدنا في هذا السبيل، وسيكون الإنسان، والآلة الصماء بالنسبة إلينا بمنزلة واحدة، علينا أن نستفيد منه في مصالحنا، وتحقيق النعيم والرفاه لنا، ونيل شهواتنا، وبلوغ غاياتنا.

وهذا هو منطق أصحاب المصالح والأهواء، الذين يتآمرون على الشعوب، ويفتعلون الحروب لتنفيس الكروب، ولملء الجيوب، وقد أبادوا الهنود الحمر في أمريكا، ولا تسأل عن مصير سكان هيروشيما وناكازاكي اليابانيتين، اللتين ألقت أميركا عليهما قنابلها الذرية، ولا تسأل أيضاً عن سكان أستراليا الأصليين، وهم الأندي جينوس، أو الأبروجينال..

يضاف إلى ذلك: أنه قد قتل في الحرب العالمية الثانية ـ كما يقال ـ بين ١٠ ملايين و ٨٠ مليون إنسان، واستعبدوا أو قتلوا من شاؤوا من سكان أفريقيا حتى لقد قال الشاعر:

قتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر

وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر

ويؤكد ذلك: سباق التسلح القائم، ورواج تجارة السلاح، بهدف التسلط على الشعوب، وإبادة من يمكن إبادته بأشد الأسلحة فتكاً، وأعظمها تأثيراً في حصد الأرواح..

وقد استعملوا حتى القنابل القذرة، وهيَّأ كل فريق ما أمكنه من ألوف مؤلفة من القنابل، من هذا النوع من الأسحلة الفتاكة، من: جرثومية، وكيميائية، وذرية وهيدروجينية، و.. و.. إلى آخر القائمة..

حتى إنك إذا نظرت إلى مختلف بقاع الأرض، فإنك لا تسمع إلا الأخبار المفجعة، ولا تشاهد إلا القتل والدمار، الذي ينتهي بإبادة أمم، وتدمير حضارات..

فهل لهؤلاء الذين لا يعترفون بوجود إله قادر حكيم، ومدبر عليم، وغفور ورحيم، ولا يهمهم إلا مصالحهم، وشهواتهم، وهذه هي نظرتهم للكون وللحياة، وتلك هي غاياتهم منها، وتلك هي ثمرات حركاتهم وسياساتهم فيها؟!

هل لهؤلاء الذين ليس فقط يستغلون الشعوب، ويمتصون دماءها، ويستعبدونها في الخفاء، ويبيدون الأمم، طمعاً بثرواتهم، هل لهم أن يتحدثوا بجدِّيَّة عن قيم ومبادئ، والحال: أن الكل يعلم: أنها عندهم مجرد شعارات لسانية، لا تمت لواقع وحقيقة ما يفكرون به بصلة؟!

سبب الإستمرار في السبي:

ثانياً: إن سؤال هؤلاء عن سبب الاستمرار في السبي، ما هو إلا شعار براق يرفع، له ظاهر حق، ولكن يراد به تكريس الباطل، والمكر بالغافلين،

وخداع الجاهلين..

ونوضح ما نرمي إليه على النحو التالي:

إذا أردنا أن نقارن بين العبودية في الإسلام المحمدي الأصيل، وبين العبودية التي يمارسها الآخرون، فإننا نجد: أن العبودية عند الغير هي نتيجة عدوان وظلم، وبغي، يمارسه المسترق على الآخر، ولكن الرق في الإسلام، يمثل إحساناً ورفقاً، ونجاة من البلايا والرزايا.

لأن العبودية في الإسلام، إنما تكون لله وحده، حتى إن أعظم وسام شرف يمنحه الله للبشر: هو وسام العبودية، وكلما زاد الإنسان إيغالاً في عبوديته لله ارتفع مقامه، وعلا شأنه عند الله، حتى إنه يجب على كل مسلم أن يقول في كل صلاة مرة أو أكثر: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

ومن جهة أخرى، فإن الله تعالى هو الخالق لكل شيء، والمالك له.. ملكية الخالق، والمتصرف، والقادر المختار، وهي ملكية حقيقية هي أقوى من ملكية الإنسان لأمواله، فإنها جعلية اعتبارية.

وفي سياق آخر نقول: إنه تعالى قد خلق الإنسان، وجعله في هذه الأرض لكي يعمرها، فقال تعالى: ﴿**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[1]. ويوصل جميع الموجودات التي تقع في دائرة حركته إلى كمالاتها، لكي تحقق الغايات من خلقها.

ولكنه تعالى يريد من البشر أن يعمروا هذه الأرض وأن يتعاملوا مع كل ما خلقه الله تعالى وفق ما يريد سبحانه لا بحسب أهواء الناس، ومصالحهم

---

(١) الآية ٦١ من سورة هود.

الشخصية، وتقديراتهم المحدودة، المشوبة بالجهل بأسرار الخلق، وبما يصلحها وينمِّيها ويحقق الإنسجام بينها وبين سائر الموجودات.

وحيث الإنسان قد يظن في نفسه أنه يملك قدرات ولديه إمكانات، وفي حوزته من العلوم والمعارف، ومن الحكمة والتدبير، والعقل والتفكير ما يغنيه عن الإلتزام بما يريده الله.

فإذا توهم أن ذلك يمنحه حقاً وحرية في الاستقلال بالتصرف، ثم بالتمرد عليه سبحانه، ومخالفة أوامره، وسعى في الإفساد، ونشر الشرور والآفات.. فمن الطبيعي أن يحجب الله تعالى عنه بعض نعمه، ويحرمه من بعض فواضله ليحد من حرية حركته الأحادية، ومن قدرته على ظلم العباد، وتخريب البلاد، ولكن من دون أن يمارس معه الجبر، والظلم، والقهر، ولكنه يرفع عنه الحصانة بنسبة تتوافق مع درجة تمرده، وسعيه في الإفساد.

وليس في هذا أي ظلم له، بل هو تصرف الخالق بالمخلوق، والمالك والصانع فيما صنعه وملكه ملكاً حقيقياً..

ومن موارد إعمال هذه السياسة الإلهية ما إذا تمادى هذا الإنسان في تمرده إلى حد إعلانه الحرب على أهل الإيمان، وعلى الأبرار والأخيار، حتى الأنبياء والأوصياء والأولياء، فأجاز لعباده المظلومين، الذين يصطلون بنار بغي هذا الظالم والباغي أن يصادروا أمواله، وإذا أسروه، فلهم الخيار في قبول الفداء منه، وفي فرض الرقّ عليه.

وهذا رفق به، وعفو عنه، ورحمة له، لأنه ارتكب في حق أهل الإيمان أعظم الموبقات بصورة ظالمة، ولو قدر عليهم لاختطف أرواحهم، فعبوديته

تمثل درجة من العفو عنه، حيث لم تبلغ به العقوبة ما يستحقه أمثاله من المفسدين في الأرض، والمعلنين للحرب، والمباشرين لها..

وقد اكتفى في عقوبته بحرمانه من بعض الحقوق التي منحه إياها من الأساس على سبيل التفضل، ومن موقع الرحمة.

ثم إنه شرَّع الأبواب على مصراعيها لإعادة ما أخذ منه ـ مؤقتاً ـ إليه.. فشرَّع أبواب العتق الإلزامي له، ليكون هذا العتق كفارة لبعض الذنوب، حين ربط العفو عنها بهذا العتق كما في كفارة القتل، والإفطار المتعمد في شهر رمضان، وموارد كثيرة أخرى.. تعلم بالمراجعة إلى كتب الفقه والحديث.

كما أنه قد فرض الانعتاق للعبد بصورة قهرية في بعض الحالات، كما إذا ملكه من ينعتق عليه، وكالمملوكة إذا ولدت لسيدها، فإنها تنعتق من نصيب ولدها في الإرث..

بالإضافة إلى جعل العتق من المستحبات في مختلف الحالات، وقد كان الإمام السجاد «عليه السلام» يشتري العبيد، ويعلِّمهم، ويؤدِّبهم ثم يعتقهم حتى كان يعتق كل سنة ألوفاً منهم..

وبالرغم من كثرة الاسترقاق الذي انتجته الفتوحات.. فإنك تجد: أن الرق قد اختفى من البلاد الإسلامية بسرعة مدهشة، مع أن الكثيرين من المسلمين، ما كانوا مهتمين برعاية أحكام الشرع.

وحسب الإسلام فخراً: أن عدداً من أئمة أهل البيت الطاهرين «عليهم السلام» قد وُلِدْنَ من نساء كنَّ في دائرة الاسترقاق.. وقد بلغن القمة في الصلاح والفلاح، حتى وفقهن الله لأن تكون الواحدة منهن أمَّاً لإمام الأمة

في دينها وإيمانها، وسائر شؤونها.. ولم ينقص ذلك مكانة الأئمة الطاهرين.

ثالثاً: ظهر مما تقدم: أنه إذا كان العرف المعمول به هو الإسترقاق لأسرى الحروب، فإن الإسلام إذا قرر وأعلن منع أتباعه من ممارسة هذا الأمر، فسوف يواجه هجمة شرسة من كل الفئات، ومن مختلف الجهات، بهدف سبي نساء وأطفال المسلمين، وأسر رجالهم، واسترقاقهم، ويكون المهاجمون في مأمن من أن يتعرضوا لهذا الأمر الذي لا يرضونه لأنفسهم. ويمثل الخوف والحذر الشديد منه أحد الروادع القوية للأعداء عن العدوان، ويدعوهم لمزيد من التروي في الإقدام على ذلك..

كما أن إعلاناً كهذا سيكون صادماً لأهل الإيمان، ومحرجاً لهم، ومثيراً للتساؤلات حول صوابية قرار كهذا.. لاسيما مع كون الطرف الآخر هو المعتدي والباغي، وأهل الإيمان هم المظلومون، لأنهم إنما يحاربون دفاعاً عن أنفسهم ولا يبدأون أحداً بقتال..

وحينئذ سيلجأون لإجراء الجزاء العادل في حق البغاة والطغاة، وهو القتل..

وهذا ما لا يريده الشارع المقدس.. لأن القتل سيكثر، وستظهر المزيد من العداوات والدعوات للانتقام، ورد الصاع صاعين..

فكان التدبير الأنسب، والأوفق بالواقعية والحكمة هو التخفيف من درجة العقوبة، والإكتفاء بجعل القتل أحد الخيارات.. ويكون الخيار الآخر هو الإسترقاق الذي يمهِّد الطريق للإستصلاح والإصلاح، وإعادة الأمور إلى نصابها..

سكوت القرآن عن العبودية:

ب: أما قول هؤلاء: لماذا لم يوضح القرآن، ولو لمرة واحدة: أن هدفه هو اقتلاع العبودية، لتتحقق المساواة بين الجميع.

فلنا عليه المؤاخذات التالية:

أولاً: إن المساواة ليست هي الهدف للشارع الحكيم، لأن المساواة قد تكون ظالمة ومرفوضة، إذا ساوت بين الذكي والغبي، والعالم والجاهل، والصالح والطالح.. وساوت المحسن بالمسيء، والظالم بالمظلوم، والبر بالفاجر الخ..

وحين يلتزم الإسلام بأن لا يعتدي على أحد، ولا يبدأ أحداً بحرب وقتال.. ويكتفي بالدفاع عن النفس والأهل، والمال والعرض إذا تعرض لهجوم.. وحين يكون المعتدي دائماً هم الآخرون، فلا معنى للبحث عن المساواة بين المظلوم والظالم، وبين المحسن والآثم.

ثانياً: إن القرآن يقول: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[1]. فإن بيانات النبي تكون معتمدة أيضاً بنفس القوة، التي تكون للقرآن الكريم.. وليس لنا أن نفرض على الله سبحانه شروطاً في طبيعة ونوع وطريقة بيانه للأحكام، ولغيرها من قضايا الإيمان..

لا نصوص في تحريم السبي:

ج: ثم ادَّعى هؤلاء: أن عدم وجود نصوص صريحة تحرِّم السبي هو

---

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

السبب في استباحة مئات الآلاف من النساء في الفتوحات الإسلامية عبر التاريخ، وهو السبب فيما فعلته داعش بحق الأيزديات والمسيحيات مؤخراً.

ونلاحظ:

أولاً: إن الفتوحات لم يقم بها النبي ولا الوصي، ولا الولي، بل قام بها أناس لهم رغباتهم، وشهواتهم، وطموحاتهم المشروعة، وغير المشروعة. فلا يمكن اعتبار تصرفاتهم مصدراً، أو منشأً لفهم الأحكام الشرعية، والمواقف الدينية الإسلامية، من السبي والاسترقاق، أو غير ذلك من الأمور التي صدرت عنهم.

وإنما يؤخذ الدين من القرآن، ومن نبي الإسلام، وممن أرشد القرآن والنبي إليهم، وهم الأئمة من أهل البيت دون سواهم..

أما الآخرون، فيخطئون ويصيبون، وقد يتصرفون بدافع الشهوات، والأهواء، والعصبيات وغيرها.

ثانياً: إن السبب في استباحة النساء ليس هو عدم وجود النص الصريح في القرآن، أو في غيره..

ونقول:

إن النص الإسلامي يقول: إن أي حرب تخاض لا بد أن يكون قائدها، والمقرر، والمتصرف فيها هو النبي، أو الإمام المنصوب من قبله، أو أن يكون بإذن وبإشراف ومتابعة منه، وهذه الحالة هي التي يصح الاسترقاق فيها، ولم تكن تلك الفتوحات بقيادة نبي، ولا وصي، ولا ولي.

الإسلام لم يمنع من الإسترقاق:

د: وقالوا أيضاً: صحيح أن الإسلام شجَّع على عتق العبيد، ولكنه لم يمنع

من استرقاقهم في الأصل..

ونقول:

إن الإسلام قد حرَّم استرقاق جميع البشر في الأصل، ما دام البشر متحاجزين، ملتزمين حدودهم، ولا يعتدون على الغير، ولا على عرضه وماله، ولا يسعون لمصادرة حريته، ولا يعلنون الحرب عليه، لإبطال دين الله، وكسر شوكته، وهدم عزِّه..

فإذا تحول الملتزمون بالموادعة والمسالمة إلى مفسدين وظالمين، ومعتدين، ومحاربين، فلا بد من دفع شرهم، ورد كيدهم إلى نحرهم، ويجوز حينئذ مصادرة حريتهم بالاسترقاق، لكي تبدأ بعد ذلك مرحلة الإصلاح والاستصلاح، حسبما بينَّاه.

علي والمرأة المعاهدة:

ونذكر هنا: أنه حين أغارت خيل معاوية على الأنبار في العراق، وسلبت من بعض النساء المعاهِدات بعض حليِّها، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» كلامه المأثور والمشهور:

«هذا أخو غامد، وقد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها.

ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها، ورعاثها[1] ما تمنع منه إلا بالاسترجاع

---

(١) الرعاث: جمع رعثة: القرط، والحجل: الخلخال، والقلب: السوار.

والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين، ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم؛ فلو أن امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً»؟!(١).

وقد شرحنا بعض هذه الفقرات في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٤٨ ص١١٩ ـ ١٢٨، فنحن نورد هنا بعض ما ذكرناه هناك، فنقول:

١ ـ إن ما قاله «عليه السلام» عن موقفه مما يجري على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، يدلنا على قيمة الإنسان في الإسلام، وعلى أن نفس كونه بشراً وإنساناً يعطيه قيمة بغض النظر عن كونه ذكراً أو أنثى، أو كونه عالماً أو جاهلاً، أو أباً، أو جاراً، بعيداً أو قريباً..

ويدل على ذلك: قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾(٢). وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾(٣).

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص٦٤ و ٦٥ الخطبة رقم ٢٧ والأخبار الطوال ص٢١١ و ٢١٢ والغارات للثقفي ج٢ ص٤٧٥ و ٤٧٦ والكامل للمبرد ج١ ص٢٠ والعقد الفريد ج٤ ص٧٠ ومعاني الأخبار ص٣١٠ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص٤٤٢. وراجع: عيون الأخبار ج٢ ص٢٣٦ والكافي ج٥ ص٤ والأغاني ج١٥ ص٤٥ ومقاتل الطالبيين ص٢٧ والبيان والتبيين ج١ ص١٧٠.

(٢) الآية ٧٠ من سورة الإسراء.

(٣) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

٢ ـ صرح «عليه السلام» بأن الموقف الذي اتخذه مما يجري على المرأة، لا يختص به كحاكم، بل قال: إن هذا هو ما ينبغي لكل امرئ مسلم.

٣ ـ إنما خص المسلم، لأنه هو من يتوقع منه أن يموت أسفاً مما يجري، لأن المسلم هو الذي كملت فيه ميزاته الإنسانية، وصحت مشاعره، وصدق في أحاسيسه، فهو يتفاعل مع الأمور بكل وجوده، ويتعامل معها بصدق، وطهر، وليس تعاملاً مصلحياً ولا تجارياً، ولا مصطنعاً، لأن الإسلام جعله إنساناً سوياً ومتوازناً، يزن مواقفه وحركته بموازين عدل وصدق، قائمة على الحجج والبينات والدلائل، زوده الله تعالى بها من خلال أنبيائه.

٤ ـ إنه «عليه السلام» لم يفرق بين مسلمة ومعاهدة، لأن القدر الجامع بينهما، والأساس لحرمة التعدي والظلم لهما، هو نفس بشريتهما، وأنهما نظيرتان في الخلق، وقد قال «عليه السلام» في عهده للأشتر: «ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق..»[1].

٥ ـ إنه «عليه السلام» لم يميِّز بين المسلمة والمعاهدة ما دام أن منشأ

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٨٤ الكتاب رقم ٥٣ الفقرة رقم ٩ وتحف العقول ص١٢٧ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٦١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٦٠٠ وج٧٤ ص٢٤١ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٦٧٩ وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج٤ ص٢٣٥ ونهج السعادة ج٥ ص٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٣٢.

الحق، وهو المساواة في الخلق واحداً..

فإن منشأ بعض الحقوق قد يكون خصوصية زائدة على أصل المشاركة في الخلق ككونه عالماً، أو مسلماً، أو أباً، أو غير ذلك.. فإن لهذه الخصوصيات حقوقاً تناسبها.. وليس العدل إلا إيصال الحق إلى صاحبه، أو حرمانه منه بغض النظر عن المنشأ لذلك الحق.

وفي المرأة المسلمة والمعاهدة هناك مشاركة في الخلق.. الذي هو منشأ حقوق، يجب على الجميع مراعاتها، ولأجل ذلك: أطلق موقفاً واحداً طالب «عليه السلام» فيه كل مسلم بموقف واحد جازم وحاسم تجاه الظلم الذي حاق بالمسلمة والمعاهدة، وأراد أن يكون له نفس القوة، والفعالية والتأثير في رفع الظلامة عنهما من غير تمييز..

٦ ـ إنه «عليه السلام» اعتمد في تحريك المسلمين إلى نصرة هاتين المرأتين المظلومتين الأسلوب العاطفي المثير للمشاعر، وهو يتحدث عن سلب الحجل، والقلب، والرعاث، والقلائد..

٧ ـ إنه اعتبر ما يجري على المسلمة والمعاهدة على حد سواء سبباً كافياً ليس فقط للتضحية بالنفس أو للمبادرة إلى المعونة، بل هو يكفي لأن يؤدي بسامع أخبار ما جرى إلى الموت من الأسف، بل لم يكتف بعدم لومه لو اتفق الموت بسبب ذلك، وإنما اعتبرناه من الفظاعة والشناعة، بحيث يصير الموت هو الحدث الطبيعي اللائق، والجدير، الذي ينبغي أن يحصل..

٨ ـ إن هذا التوقع، ورفع مستوى بشاعة هذا الظلم إلى هذا الحد من شأنه أن يرفع من مستوى الشعور الإنساني، ويزيد من حرارة وحيوية وتأثير

هذا الأمر في وجدان الإنسان، وفي أحاسيسه ومشاعره. ويؤكد ويعمق معنى الإنسانية فيه، وينمي مزاياه، وخصاله النبيلة، وخصائصه الرفيعة، فيحيا وجدانه، وتتبلور مشاعره، وتزكو نفسه، ويصفو به جوهره..

٩ ـ إنه «عليه السلام» لم يستثن نفسه، وهو القمة، وجوهرة تاج هذه الأمة من الموت أسفاً! مع أنه هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة. إنه هو أيضاً جدير بالموت أسفاً ولو كان الضحية إمرأة.. مع أن ذلك المجتمع كان لا يعترف للمرأة حتى بحق الحياة، فكان الرجل يدفن ابنته وهي حية حتى لا تأكل من طعامه.

وهذا أفضل الخلق يعطي للمرأة هذه القيمة التي لا تجارى، يرى أنه جدير بأن يموت أسفاً لمجرد أن امرأة أخذ منها حجلها، ولو كانت الإمرأة التي يموت من أجلها، وهو أعظم البشر مقاماً عند الله، جاهلة، أو حتى لو لم تكن مسلمة أصلاً..

بل حتى لو كانت محاربة للمسلمين، وقد أُوْقِفَتِ الحرب بناء على معاهدة مع قومها.. وربما كانت أو كان أبناؤها، أو إخوتها، أو أقاربها، قد قتلوا مسلماً[١]، وربما يقتلون مسلمين في المستقبل، بعد انقضاء أمد العهد والعودة إلى الحرب في المستقبل..

---

(١) ولو كان بحجم الحمزة أسد الله وأسد رسوله «صلى الله عليه وآله» الذي قتله وحشي، ثم تظاهر بالإسلام، وجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلم يزد الرسول «صلى الله عليه وآله» على أن قال له: غيِّب وجهك عني.

مع أن المعاهدة لا تعني أنه يجب على المسلمين حمايتها إذا دخلت بلادهم في تجارة، أو زيارة، أو لأي غرض آخر..

ولكن علياً «عليه السلام» الإنسان الإلهي، لا يرضى بالعدوان والظلم أن يقع حتى على عدوه إذا كان معه في عهد مؤقت.. لأن الظلم يتناقض مع فطرته ووجدانه، ومع عقله ومشاعره، ومع قِيَمِهِ ودينه، وكل شيء في هذا الوجود..

١٠ ـ إنه «عليه السلام» قد أعلن أن دماء من ظلم تلك المرأة المسلمة والمعاهدة مهدورة، ولا حرمة لها، بل يجب السعي والجد والإجتهاد للإنتقام من ظالمها، وردعه عن ظلمه، ولزوم إهراق دمه بقتله، أو جرحه..

ولم ير «عليه السلام» أن القسوة على هذا المعتدي والظالم متنافرة مع تلك الرقة على المرأة المسلوب حجلها، وقرطها، وقلائدها.. بل رأى هذه القسوة امتداداً لتلك الرقة، وتجسيداً ونتاجاً وثمرة لها..

١١ ـ ولعلك تقول: إن سلب هذه الأشياء: الحجل، والقلب، والقلائد من امرأة ضعيفة لا يستحق أن يرعف مسلم من الأسف، فضلاً عن أن يموت، فإن ما جرى كان أمراً بسيطاً للغاية، لأن المرأة المسلمة، وتلك المعاهدة لم تقتل، ولم تجرح، ولم يعتد عليها في كرامتها وعرضها، فلماذا يقتل سالبها؟! (وهو مسلم) ولماذا يموت من الأسف سامع خبر ما جرى عليها؟!

فضلاً عن أن يكون الميت هو إمام المسلمين، وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين؟!

ونجيب:

بأن العقوبة لا تقدر بآثار العدوان المادية، وقيمة الخسائر في سوق البيع

والشراء، بل تقدر بالروح التي تكمن وراء العدوان، وما تعبر عنه من قباحة وشناعة وتشويه في الروح والفطرة والوجدان، وانحراف في الفكر والإيمان، وجرأة على حرمات الله سبحانه..

فمثلاً ساب الرسول «صلى الله عليه وآله» يقتل، وقاتل المسلم يقتل.. وأين القتل من السب في أثره المادي الظاهر؟! فإن السب هو مجرد صدى حروف يذهب في الهواء، والقتل أعظم من ذلك بكثير.

ولكن حين ننظر إلى الأمر بمنظار العقل والبصيرة ندرك: أن سب الرسول «صلى الله عليه وآله» ـ والعياذ بالله ـ هو الأعظم والأبشع، والأقبح والأشنع.. لأنه عدوان مباشر على الله، وعلى كل الأقداس.. فضلاً عما ينشأ عن هذا السب من فساد وإفساد في البلاد، والعباد لا يقاس به شيء.

وهذا يجعلنا نفهم بعمق بعضاً من المعنى الدقيق الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾[1].

ولهذا البحث مجال آخر.

١٢ ـ ثم إننا نراه «عليه السلام» يتابع وصفه التحريضي لحال المرأتين المسلوبتين، حيث يقول: «ما تمتنع منه إلا بالإسترجاع، والإسترحام»، ليذكر الناس: بأن امتناع المرأة من عدوها إنما يكون بنجدة أصحاب الحمية لها، لا بالتضرع إلى العدو ليرحمها، ويشفق عليها. وإذا بلغ الأمر بها إلى حد

---

(١) الآية ٣٢ من سورة المائدة.

يدعو إلى رحمة العدو السالب لها، والمعتدي عليها، فكيف لا يتحرك لنصرتها أهلها وذووها، وأصحاب الغيرة عليها، والحمية لها؟!

وإذا كانت لا تجد ملجأ تطلب منه العون إلا الله، فتعود إليه وتقول: ﴿**إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[١]. فأين عنها المدَّعون أنهم أنصار الله، ومطيعون لأوامره؟!

١٣ ـ واللافت هنا: زعم بعضهم، كالمعتزلي: أن المراد بالإسترحام هو أن تناشد المرأة سالبها بالرحم الذي بينها وبينه[٢]. أي أن يرأف بها رعاية للرحم التي بينهما.

وهذا غير صحيح، إذ لا رحم بين أهل الأنبار، وبين الغزاة الآتين من بلاد الشام..

١٤ ـ وأخيراً.. فإنه «عليه السلام» يؤكد لنا بكلماته في هذا المورد على أمور كثيرة مثل:

أولاً: مبدأ نصرة الضعيف، والمظلوم، الذي هو من الأوليات الفطرية، ومن الأمور الوجدانية التي يفرضها الضمير الإنساني..

ثانياً: تركيز معنى الغيرة والحمية، بمعناها الإيجابي البنَّاء في نفوس الناس.

ثالثاً: عدم التفريق بين الناس، المسلمين وغيرهم، إذا كان منشأ الحق واحداً.

رابعاً: عدم التواكل في رد العدوان.. فلا يرمي هذا مسؤولية الدفاع

---

(١) الآية ١٥٦ من سورة البقرة.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٧٨.

على ذاك، والعكس، بل يقوم كل امرئ بما يجب عليه..

خامساً: أن يهبّ الإنسان المسلم لنصرة أخيه، فلا يخذله، ولا يتركه لقدره، بل ينجده، ويعينه، فإنه إن خذله، فليتوقع أن يخذله الآخرون حين يتعرض للعدوان..

وهناك أمور أخرى لا مجال للخوض فيها..

علي والسبي في حرب الجمل:

هـ: ثم ذكر هؤلاء في سؤالهم: أن العمل بالسبي قد استمر، بدليل: أنهم في حرب الجمل أصروا على السبي، فقال لهم علي «عليه السلام»: أيكم تطيب نفسه بأن تكون عائشة في سهمه؟!

فلم يعترض على السبي، لكنه حكم بحرمته بسبب إسلام المسبيين.. وهذه ازدواجية مرفوضة: أن تستباح أعراض الناس، وتصان أعراض المسلمين.

كما أن من بديهيات الأخلاق: أن لا ترضى لغيرك ما لا ترضاه لنفسك.

ونسجل على هذا الكلام المؤاخذات التالية:

أولاً: ذكرنا فيما تقدم: أن الاسترقاق عمل إرفاقي، ورحمة، وتخفيف بالنسبة لأناس مجرمين ومفسدين، ومعتدين، تحكم عليهم قوانين عقلاء البشر بالإعدام.. لاسيما إذا كان عدوانهم على الأبرياء، بهدف استرقاق الناس، وسبي نسائهم وذراريهم، والاستيلاء على أموالهم، وهدم عزّهم.. فكيف إذا كان هدفهم في حربهم هو اقتلاع دين الله من جذوره، وإعادة حكم الأهواء، ومواجهة الشقاء والبلاء؟!

ثانياً: إن ما فعله أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل يؤكد ما

قلناه، من أن قراره في حق هؤلاء المعتدين هو الكفّ عنهم، والمن عليهم.. وهذا هو الخيار الإرفاقي الآخر الذي يقابله الخيار الذي طالب به جيشه ورفضه «عليه السلام».

وبذلك يكون «عليه السلام» قد صرف نظره عن عقوبة الإعدام التي يستحقونها بحكم الشرع، ووفق معظم القوانين المعمول بها في العالم، وينتقل مباشرة إلى العفو التام الشامل عنهم، وإطلاق سراحهم، بالرغم من حجم الفاجعة التي خلَّفوها وراءهم، والآلام والمصائب التي تسببوا بها.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» بموقفه من موضوع السبي والاسترقاق، قد أفهمنا: أن الفرق بين أسرى المسلمين وأسرى الكافرين هو:

أن التخيير في أسرى غير المسلمين يكون بين أمور ثلاثة هي:

١ ـ العقوبة.

٢ ـ التخيير بين الفداء والاسترقاق.

٣ ـ المن عليهم وإطلاق سراحهم.. إن لم يكن لأولئك الكافرين فئة يرجعون إليها لتشد أزرهم، وتعيدهم للحرب من جديد..

لكن التخيير في أسرى المسلمين المعتدين يكون بين أمرين:

١ ـ إما العقوبة بالقتل..

٢ ـ أو العفو والمن المنتهي بإطلاق السراح..

وليس لأسرى المسلمين فداء.. ولا تسبى نساء المسلمين..

فالأمر بالنسبة للمسلمين أشد منه بالنسبة للكافر، على عكس ما قاله السائل، لأن السبي له من أعظم مظاهر الرحمة به، لأنه يعطيه فرصاً للحياة

وإعادة النظر في مناهجه وغاياته..

رابعاً: عن قولهم: «..إن التفريق بين المسلمين والكافرين في موضوع الاسترقاق مخالف لأبسط القواعد الأخلاقية»، نقول:

هذا تهويل هزيل، لا يلبث أن يتلاشى أمام المنطق والدليل، لأنه ليس حق من يرى أن إلهه هو المادة التي لا تعقل، ولا تسمع، ولا تبصر.. وتتصرف على غير هدى، ولا يعتقد بوجود إله عاقل حكيم، عالم مختار، عادل، رحيم، يجب عليه أن يطيع أوامره، وينشد رضاه ـ ليس من حقه ـ أن يتحدث عن قيم وأخلاق، وعن حسن وقبح، وعادل وظالم لأن المادة لا تتعقل هذه المعاني، وليس لها أن تفرضها، أو أن يطالب بها..

وهكذا يقال لمن يرى: أن المعيار هو: المصلحة الشخصية، أو الفئوية، وأن الحاكم: هو العصبيات على أنواعها، والرغبات، والميول، والأهواء، والشهوات.

ولمن يرى: أن الأخلاق والأديان وسائل وأدوات لتلبية هذه الرغبات، والاستجابة لهذه الحاجات.. وليست لها قيمة في ذاتها، إلا بقدر ما تسهم في هذه الأمور الرخيصة جداً، وبعضها لا تقرّه الأخلاق الكريمة، ولا تستسيغها الفطرة السليمة.

خامساً: إن الخطاب الهادف إلى تحريك الغرائز، وإثارة المشاعر، لتبرير الانحراف، والطعن بالأديان ورموزها، وإسقاط قداستها.. ليس خطاباً علمياً ولا موضوعياً، ولاسيما إذا كان من يعتمده يرضى بأن تكون المادة التي لا عقل لها، ولا اختيار، ولا إدراك، ولا مشاعر، ولا أحاسيس هي التي تدبِّر الكون، وهي التي خلقت وأوجدت جميع ما فيه.

فإذا كانت المادة هي المثل الأعلى لمن يعتقد بهذه الإنجازات الهائلة لها،

وهي التي تنتهي إليها آماله، وتنسجم مع طموحاته، وتتوافق مع هواه ورغباته.. فما باله يتحدث عن الغيرة على العرض، والمادة لا تغار؟! وما باله يتحدث عن العبودية، والمادة لا تفرق ولا تدرك الفرق بين الحر والعبد؟! وما باله يتحدث عن الأخلاق، والمادة بعيدة كل البعد عن هذه المعاني؟!

الفصل الثالث

- السؤال السابع..
- السؤال الثامن..

الجواب على السؤال السابع:

وقد تضمن السؤال السابع العديد من الأسئلة، فنحن نذكرها، ونذكر مؤاخذاتنا، وملاحظاتنا عليها، كما يلي:

التبعة على المسلمين لا على الإسلام:

ألف: قال السائل ما مضمونه: إن المسلمين يتقاتلون منذ مات النبي «صلى الله عليه وآله»، والمسلمون يبرِّرون ذلك: بأن الإسلام بريء من هذه الأفعال، وأنهم هم الذين شوَّهوا صورة الإسلام، فهل للإسلام صورة غير مشوهة.. أم حقيقة التشويه هي صورة الإسلام؟!

ونقول:

أولاً: إن الإسلام يؤخذ من مصادره، ونصوصه القرآنية، ومن كلمات نبيِّه والأئمة الذين أرشد نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله» إليهم، وأحالهم عليهم من بعده، وهم الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته..

ولا يؤخذ الإسلام، ولا غيره من سلوك الناس الذين ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، أو إلى أي دين آخر، ولا يستدل عليه بأقوالهم وأحوالهم، فإن وجد هؤلاء في هذه المصادر أقوالاً، وأوامر صدرت من النبي «صلى الله عليه

وآله» للناس المسلمين: بأن يقتل بعضهم بعضاً، فليظهروه لنا، وليدلونا عليه، ويرشدونا إليه، وسنكون لهم من الشاكرين.

ثانياً: لو أردنا أن نعتمد على تصرفات الناس، الذين ينقادون فيها إلى أهوائهم وشهواتهم، وعصبياتهم، ومصالحهم، ونزواتهم، في تقييم الأديان، والقوانين والدعوات، فلن تسلم دعوة من الطعن، ولن يبقى لنا مفهوم قويم أو سليم، مهما كان جزئياً ومحدوداً.

فمن يدعو مثلاً إلى فضيلة الصدق، قد يكون ممن يمارس الكذب، والداعي لحفظ كرامات الناس، ربما كان أحد من يعتدي على كراماتهم، ومن ينهى عن النميمة، والغيبة، والفتنة، وعن الزنا وشرب الخمر، وعن، وعن.. قد يكون هو في طليعة المرتكبين لهذه الرذائل، وهكذا..

وهذا معناه: أن لا تبقى لنا قيم، وأن تضيع الحقائق، ويقع الناس في التيه، وتسود الفوضى، والعشوائية، ويختلط الحابل بالنابل، والحافي بالناعل، والحق بالباطل.

لا إكراه في الدين لا يلائم فعل النبي صلى الله عليه وآله:

ب: وقالوا: لقد هدم النبي «صلى الله عليه وآله» الأصنام في فتح مكة.. واستخدم الترغيب بالمال، بجعل سهم للمؤلفة قلوبهم، واستعمل الترهيب حين أجبر الطلقاء على الدخول في الإسلام، في حين أن القرآن يقول: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1].

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

ونلاحظ على هذا الكلام:

أولاً: إن أهل مكة قد أجرموا في حق الإسلام والمسلمين، وعذبوا من أسلم، ومات بعض المسلمين تحت التعذيب، كياسر المخزومي وزوجته، وأكرهوهم على البراءة من دينهم، كما جرى لعمار بن ياسر الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾(١).

وحاولوا قتل النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الهجرة، وهاجر هو وأصحابه إلى المدينة، فاستولى أهل مكة على أملاكهم وأرزاقهم، وبيوتهم، ثم لحقوهم إلى المدينة ليقاتلوهم ويقتلوهم، وحاربوهم مرة بعد أخرى، مدة ثماني سنوات، وقتلوا منهم حمزة بن عبد المطلب عم النبي «صلى الله عليه وآله»، وعبيدة بن الحارث وعشرات آخرين..

وإنما دافع المسلمون عن أنفسهم..

ثم أعطوا النبي «صلى الله عليه وآله» في الحديبية عهداً ـ رآه بعض الصحابة مجحفاً، لأنه لبى مطالبهم وأرضى غرورهم ـ..

ثم نكثوا عهدهم، وقتلوا من قتلوا ممن كانوا في حلف النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان العهد قد ضمن أن لا يتعرضوا لهم.. ثم ما انفكوا يتآمرون عليه، ويؤلبون الناس عليه، ويسعون إلى قتله وقتل من معه..

فلما فعلوا ذلك كله، كان لا بد من حسم الداء بالدواء، فجمع «صلى الله عليه وآله» أصحابه، وسار نحو مكة، وألقى الله الرعب في قلوب أهلها،

---

(١) الآية ١٠٧ من سورة النحل.

فدخلها مظفراً منصوراً، من دون حرب وقتال، ولم يجرؤا على مقاومته..

وبالرغم من أنه كان يحق للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يُنزل بالمجرمين والناكثين منهم أشد العقوبات، وأن يسترد منهم الأموال، وأن يقتل القتلة، فإنه لم يفعل شيئاً من ذلك، بل إنه وبدون أن ينتظر اعتذارهم، أو طلبهم العفو، بادر إلى إطلاق سراحهم، قائلاً لهم: «اذهبوا، فأنتم الطلقاء»، بالرغم من أنهم لم يظهروا ندماً على جرائمهم، ولا خطَّأوا أنفسهم فيها.

وهذا النحو من التعامل البديع والرفيع لم نعرف له مثيلاً، لا في السابق، ولا في اللاحق.. بل هو لم يؤنبهم ولم يشتمهم، ولا أخذ أموالهم، بل أصدر أوامره الشديدة والأكيدة لجيشه: بأن لا يقوموا بأي تصرف سلبي تجاههم.

فأين الإكراه في الدين، المخالف لما أمر الله به في كتابه؟!

ثانياً: بالنسبة لهدم الأصنام، نقول:

لو أن أحداً هاجمه باغ وطاغ بجيشه، ودفعه عن نفسه وهزمه عن بلده الذي كان قد احتلَّه ذلك الباغي، فوجد أنه وضع على كل حائط، وفي كل بيت صور الشخص الذي قاد ذلك العدوان، وحرَّض الناس عليه، أو صورة من موَّل، ومن خطط، هل تراه يترك تلك الصور؟! أم يبادر إلى إتلافها، وإحراقها؟!

ولو وجد له تمثالاً في ساحة البلدة، هل يتركه على حاله أم يحطمه؟!

فكيف إذا وجد صنماً يعبد من دون الله، قد دعاهم تعلقهم به إلى العدوان على الأبرياء، وإتلاف النفوس، وإزهاق الأرواح البريئة، والساعية في توفير الأمن والسلامة، والخير والسعادة، حتى لمن قتلها، وسعى في هدم عزها،

ومصادرة حريتها.

ثالثاً: إن مما يزيد في الكرب، ووجع القلب: أن الناس، وهؤلاء الذين يتذاكون علينا منهم، يقلبون الحقائق رأساً على عقب، ثم يبدأون بالصراخ والعويل، والأسى، والأسف الطويل، ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها لتكريس، وترسيخ هذه الحقائق المقلوبة، وتسويقها على أنها حقيقة بديهية لا نقاش فيها.

وعن الحقائق المقلوبة نقول:

إننا نعلم: أن الذين حاربوا الإسلام، بل جميع من حارب الأنبياء والأوصياء، والأولياء، والأبرار، والأتقياء عبر التاريخ ـ منذ آدم وإلى أن يظهر الله دينه، ويعز أولياءه ـ إنما يحاربونهم من أجل مصادرة حريتهم، وحملهم على التخلي عن فكرهم ومبادئهم، وبهدف فرض الأباطيل والأضاليل على الناس، والمنع من تداول الفكر النقي والصحيح والصريح.. تماماً كما قرَّره فرعون للسحرة حين قالوا: ﴿**آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾[1].

ففرعون، ومن هم على شاكلته يريدون أن لا يفكر الناس، إلا بأمر وبإذن منهم، وأن يفكروا فقط بما يروق لفرعون والفرعونيين، لا بما هو

---

(١) الآيات ٧٠ ـ ٧٣ من سورة طه.

حق وواقع، وفضيلة، ودين..

وقد حكى الله تعالى لنا: أنه حدث نظير هذا بالمؤمنين في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾(١).

رابعاً: بالنسبة للترهيب، الذي ادَّعاه هؤلاء، لإجبار الطلقاء على الدخول في الإسلام نقول:

لم يذكر لنا هؤلاء أية مفردة تدل على حصول شيء من ذلك بالفعل، فقد وصفنا لهم حالة الدخول إلى مكة، كما سجَّلها لنا التاريخ على اختلاف أهوائه، واتجاهاته.

إلا إن كانوا يقصدون بكلامهم ما فعله خالد بن الوليد الذي خالف أمر النبي بعدم ممارسة العنف ضد أحد.. فلما عرف النبي «صلى الله عليه وآله» بما كان منه منعه، وأعلن البراءة من فعله..

أو لعلهم يقصدون: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر بقتل بعض الأشخاص، وسمَّاهم بأسمائهم.. وقد صرَّح المؤرخون: بأنه قد أمر بذلك لارتكابهم جرائم شنيعة، لا يمكن الإغماض عنها، بل لا بد من العقوبة عليها..

---

(١) الآيات ٣٩ ـ ٤١ من سورة الحج.

فإطلاق الكلام بهذه الطريقة الموهمة بعيد عن الإنصاف، وإخلال بالأمانة العلمية والموضوعية.

خامساً: بالنسبة لاستخدام المال للترغيب من خلال سهم المؤلفة قلوبهم، نقول أيضاً:

إنه غير دقيق، لأن المراد بالمؤلفة قلوبهم: هم الجماعة التي أظهرت الإسلام باختيارها، وبقرارها.. ولكنهم بسبب سوابقهم السيئة قد بقوا حذرين مع الآخرين، لا يفصحون عن نواياهم، ويحيطون أنفسهم بهالة من الغموض والإبهام، وربما منعوا من يلوذ بهم من الانفتاح على المجتمع الجديد..

والإسلام يريد لهم أن يثقوا بالناس، وأن يحلَّ عقدهم، ويكسر الطوق الذي يضربونه على أنفسهم، وعوائلهم، ليحيوا حياة طبيعية بكل ما لهذه الكلمة من معنى.. وليس المطلوب رشوتهم ليدخلوا في الإسلام، فإن دخولهم في الإسلام كان قد حصل وانتهى.

الإكراه في الدين، وقتل الحسين عليه السلام:

ج: ذكر هؤلاء أيضاً: أن الذين دخلوا الإسلام بدون اقتناع قد قتلوا في النهاية حتى ابن بنت نبيهم وأهل بيته، وهذا كان بسبب الإكراه في الدين، والترهيب لإجبار الطلقاء على الدخول في الإسلام، والترغيب بالمال كما تقدم بيانه.

ولكننا نرى: أن هذا أيضاً غير دقيق:

أولاً: لأن النفاق لم ينشأ عن الأمور الثلاثة المتقدمة، التي أشاروا إليها، بل كان سببه قلة الدين، وحب الدنيا، والطمع بالمناصب والمقامات، وإرادة

جعل ذلك ذريعة للحصول على الأموال، وممارسة الشهوات والشعور بالعجز عن تحقيق أي نصر على الإسلام والمسلمين.

أما إعطاء الأموال، فقد قلنا: إنه كان يهدف إلى حلحلة العُقد، وليخرجهم من حالة النفاق إلى الاقتناع بحقانية هذا الدين، بسبب الانفتاح على المجتمع الذي يعيشون فيه، فيرون محاسن هذا الدين ويعيشون أجواء الإيمان بصورة عفوية، وبدون تحفظ. وربما جرت بينهم وبين الواعين من المسلمين، حوارات تزيل بعض الشبهات من نفوسهم، كما أنهم ينفتحون بصورة أكبر على النبي، وأهل العلم من صحابته الأخيار، فيتعلمون منهم ما يجهلونه، ويعرفون حقيقة وأبعاد ما كانوا ينكرونه.

كما أن هذه التوسعة المالية عليهم تطمئنهم إلى أن المطلوب ليس إذلالهم بل معونتهم وإنقاذهم.. وذلك يدعوهم إلى التخفيف من ضغوطهم على من يلوذ بهم، ومن يخضع لإرادتهم، فيفسحون لهم المجال للاندماج في المجتمع الجديد، وبذلك يكون بذل المال لمكافحة النفاق، والقضاء عليه..

ثانياً: إن قتل الحسين وأهل بيته وأصحابه لم يكن بسبب إكراه الطلقاء على الدخول في الإسلام، ولا بسبب بذل الأموال للترغيب فيه، بل بسبب قسوة قلوب أولئك القتلة، وظهور جحودهم للحق، ومرض نفوسهم الذي ورثوه عن أسلافهم.

ثالثاً: إن عدم الاقتناع بالإسلام لا ينشأ عنه قتل الحسين، بل ينشأ عنه عدم الانصياع لتعاليم دين الإسلام، والنأي بالنفس عن ممارسة شعائره، وتأدية فروضه.. وعدم الشعور بالرقابة الإلهية، يؤدي إلى اتِّباع الشهوات،

والانقياد للأهواء والعصبيات، والانغماس في المعاصي والموبقات..

الإكراه سبب ضعف الإسلام:

د: ثم ذكر السائل: إن الله سبحانه إذا كان علام الغيوب، فهو يعلم بنتائج الإكراه في الدين، ونتائج ترهيب الطلقاء لإجبارهم على الدخول في الإسلام، وآثار الترغيب بالمال للمؤلفة قلوبهم، وأنه سيسقط ملايين الضحايا عبر التاريخ من المسلمين وغيرهم، وأن صورة الإسلام سوف تتشوه في عيون غير المسلمين، ويضعف احتمال تفكير الناس بالدخول في الإسلام.

ونلاحظ على هذه الأقوال:

أولاً: قد عرفنا: أن الإكراه في الدين لم يحصل لأهل مكة الذين هم الطلقاء، بل حصل المنَّ عليهم، والإحسان إليهم، ثم كانوا هم الذين بادروا لإعلان إسلامهم.

مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد آمن الناس، وحدد لهم مواضع يدخلون إليها حتى لا يتعرضوا لمكروه.

ثانياً: عرفنا أيضاً أهداف بذل المال لبعض الناس، وأن ذلك ليس هو السبب في سقوط الملايين من القتلى عبر التاريخ.. بل هي أطماع الناس، وحبهم للدنيا، وأنانيتهم، وعصبياتهم، وقلّة مراعاتهم لأحكام الشرع والدين، وعدم تربية أنفسهم..

وهذا يحصل لدى أتباع مختلف الديانات والدعوات الإصلاحية.

ثالثاً: إن الإسلام إذا تشوَّه بسبب الغير، فالذنب يكون على الغير.. وليس على الإسلام، سواء أكان ذلك الغير المعتدي على الإسلام ممن يدعي

أنه من أتباعه، أو كان من غيرهم.

فلو أن أحداً وجد صورة جميلة، وثمينة جداً، فعبث بها، ولطخها، أو مزقها.. فإن الذنب لا يكون على الصورة، بل على من فعل بها ذلك..

كما أن من يدَّعي أنه مسلم إذا تسبب بسبب ممارساته بتضعيف احتمال إقبال الناس على الدخول في الإسلام، فإنه يكون هو المذنب، والإسلام بريء ولا غبار عليه.

رابعاً: إن غير المسلمين لا يُعْذَرون في ابتعادهم عن الإسلام، وفي رؤيتهم الإسلام مشوهاً، لأن الواجب على العاقل المنصف: أن يرجع إلى الإسلام في تعاليمه ونصوصه، ويرى مدى صفائها ونقائها، لا أن يحكم على الإسلام من خلال ممارسات أتباعه الذين تتنوع دوافعهم، ودرجات التزامهم بتعاليمه وأحكامه.

الإكراه في الدين وتشويهه:

هـ: وقال هؤلاء أيضاً: كان من المفترض أن يصل الدين لكل البشر واضحاً ومن دون تشوهات ليكون حجة عليهم..

وهذا كلام له ظاهر أنيق، وباطن بالرفض حقيق، وذلك لما يلي:

أولاً: إنه يدعي أن سبب وصول الدين لكل البشر مشوهاً هو الله تبارك وتعالى، وأنه هو المقصر والمدان..

ولا ندري لماذا يتهم هؤلاء الله، ولا يتهمون الناس بتشويه الحقائق الناصعة، كما شوَّهوا دين موسى وعيسى من قبل.

ثانياً: إنهم يدَّعون: أن في الإسلام كدين تشوهات، وهذا ما لم يستطيعوا

أن يقدِّموا عليه أي شاهد ودليل.

ثالثاً: يلاحظ: أنهم خلطوا بين عدم الوضوح، وبين التشويه.. مع ان عدم وضوح الأمر قد يكون سببه قصور الناظر فيه، وكونه فوق مستواه..

حرية عبادة الأصنام:

و: قالوا أيضاً: لو أن النبي «صلى الله عليه وآله» اكتفى بإخراج الأصنام من الكعبة، وجعلها في موضع يخصصه لها، ليمارس المشركون فيه طقوسهم تجاهها تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1].. لكان ذلك أولى، وأجدر من تحطيمها.

وبالتالي لو بقي بنو أمية كفَّاراً يحاربون الإسلام، فسيكونون معزولين عنه ولا يمثلونه.

وذلك يحفظ للمسلمين وحدتهم، ويمنع من تفرقهم وتقاتلهم. ولم تشوه صورة الإسلام في نظر الآخرين..

ونرى: أن هذا الكلام غير مقبول.

أولاً: إن هذه الإقتراحات المعسولة في الظاهر تستبطن غشَّاً وخداعاً.. والذين يطلقون هذه الأقاويل يحسبون أن المسلمين، وكذلك غيرهم من سائر الناس على درجة كبيرة من السذاجة والسطحية، وأنهم سوف يصدِّقون بصحة وصوابية هذه الاقتراحات، مع أن من الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» لو فعل ذلك، فسيظهر لكل أحد: أنه ساذج ـ والعياذ بالله ـ لا يفقه في

---

(١) الآية ٦ من سورة الكافرون.

السياسة شيئاً، لأنه يكون قد سجل اعترافاً بشرعية عبادة الأصنام.

وأبقى على أمور سيكون بقاؤها موجباً لبقاء تعلق الناس بها، وتقبُّل عبادتها.

وستبقى مصدر إلهام لهم، بضرورة استمرار العداء للإسلام، إلى أن يتم القضاء عليه..

وستبقى محط آمالهم، وموضع رجائهم، بتبدل الأمور لصالحهم ولو بعد حين..

ثانياً: إن هؤلاء السائلين قد أعطوا النبي الحق بإخراج الأصنام من الكعبة، مع أنهم لا يؤمنون بأن للمسلمين حقاً بشيء بالكعبة ولا بغيرها، لأن المادة التي يؤمنون بها، تفرض إلغاء القداسات والمقدسات، وإفراغها من محتواها.. فلماذا يقترحون أن يخصَّ المشركون بها ويسلخون غيرهم عنها؟!

فما هو المعيار الذي اعتمدوه في هذا التصور والاستثناء؟! فإن من يرى أن الخالق والمدبر للكون ليس هو الله لا يملك مبرراً لترجيح المسلمين على المشركين في شيء..

بل يرى: أن عليه أن يحارب الإسلام الذي يناقض فكره، ويملك منظومة من القيم، ونظريات وأطروحات متكاملة، في جميع مجالات الحياة.. ولا يبقى معه أي فرصة، أو مكان للفكر المادي.. وسيفقد قيمته وأثره، ودوره.

ثالثاً: قد ذكرنا: أن المسلمين لم يبدأوا المشركين بحرب أو قتال، ولم يزيدوا على الإستفادة من حقهم الطبيعي بحرية الكلمة، وحرية الاعتقاد، وعدم الإقرار بالتسلط على الناس.. ورفض استلاب حرية الفكر والاعتقاد منهم،

فواجههم المشركون بما تقدمت الإشارة إلى بعض منه.. وحاربوهم، وقتلوا منهم، واستحلُّوا منهم الحرمات، بهدف منعهم من التفكير، ومن الاعتقاد: بأن لهم خالقاً، ومنعهم بالتالي من عبادة ذلك الخالق..

وفرضوا عليهم: أن يقدِّسوا أصنامهم، وأن لا يعرضوا فكرهم واعتقادهم على أحد.. وأن لا يجهروا به، بل فرضوا على كل من يقتنع بإله مدبِّر هو الله: أن يتخلى عن قناعاته، فإن لم يفعل، فعليه أن يواجه البطش به، ومواجهته بأقسى أنواع التعذيب، وبالموت الزؤام..

فكان المطلوب بعد صرف النظر عن العفوية: هو إعلان إدانة الشرك، ورفض عبادة الأصنام، وإظهار تفاهة وبلاهة من يمارس هذا الأمر عن قناعة ورضى..

ومن لا يحتمل فيه البلاهة والتفاهة من عبَّاد الأصنام، فلا بد أن يعرف الناس: أنه فاجر ماكر، يريد أن يعبث بهم، ويتلاعب بمصيرهم، ويزج بهم في الحروب العبثية، التي تدرُّ عليه النفع، وتأتيه بالغنائم على حساب دماء الناس، وراحتهم، وسعادتهم..

مما يعني: أن هذا النوع من الناس هم من ألأم خلق الله، وأشدهم مكراً، وعهراً، وأقساهم قلباً، وهم أعدى عدو للإنسان وللإنسانية..

لأن ما لا يسمع أو يعقل، ولا يملك شيئاً من مقومات الحياة والكرامة لا يمكن أن يكون خالقاً، ولا إلهاً ولا معبوداً، ولا مدبراً، فعبادة هذه الأحجار والأخشاب، والجمادات أعظم إساءة للإنسان، وأقسى سخرية به، بل إن موته خير له من الحياة التي تستبطن القبول والرضا بمثل هذا الأمر المخزي والمشين.

رابعاً: لقد كان تحطيم الأصنام على يد علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، وعدم حصول أي سوء لمن حطمها.. سبباً في سقوط كل ما يدَّعونه لها من قدرات، وتصرفات، فهي لا تقرِّب أحداً إلى الله زلفى، بل تبعِّد عنه، وهي عمياء، صماء، عاجزة، جاهلة، لا تشفي، ولا تمرض، ولا تمنح أحداً خيراً، ولا تدفع شراً ولا ضراً..

فتحطيمها، وإظهار سخف من يعبدها كان إحساناً للمشركين، يجب: أن ينوِّهوا به، ويشكروه عليه.. لأنه خلصهم من خرافة، كانت بمثابة آفة دفعها عنهم، وأنقذهم من شرورها، وأسقط أحلام الأشرار الذين اتخذوا منها وسيلة لاستعباد الناس، والعبث بعقولهم، والهيمنة على قرارهم، وتسخيرهم في مآربهم.

خامساً: لقد نتج عن تحطيم الأصنام: أن بني أمية، وغيرهم.. قد نسوا الأصنام، وتلاشت علاقتهم بها في ظاهر الأمر على الأقل.. ولم يكن عدم الالتزام بالأحكام الإسلامية، لأجل حنينهم إلى الأصنام، بل كان انصياعاً للشهوات، والعصبيات و الأهواء، والمآرب وحب الدنيا.

سادساً: قولهم: حتى لو رجع بنو أمية كفاراً يحاربون الإسلام، فهم معزولون عنه ولا يمثلونه إلخ.. غير سليم، ولا قويم، لما يلي:

١ ـ إن مما لا شك فيه: أن الكافر المحارب للإسلام مبغوض عند الله كما يجب ردعه عن عدوانه، وحربه للدين وأهله، يجب العمل على إخراجه من كفره، بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

٢ ـ إن بني أمية والمشركين هم الذين اختاروا الإسلام، وأعلنوا انتسابهم

إليه، فلا يصح من المسلمين، فضلاً عن النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعيدهم إلى الكفر، أو أن يسهِّل لهم أمر العودة إليه، فإن ذلك من أقبح الأمور التي لا يجوز أن تصدر عنه «صلى الله عليه وآله».

٣ ـ إن الذين يخالفون أحكام دينهم، انقياداً لشهواتهم، أو لغيرها لا يضرون دينهم بشيء، بل يضرون أنفسهم.

٤ ـ إن الذين يقولون: إن العصاة يمثلون الإسلام مخطئون، ومقصرون، أو قاصرون عن فهم الأمور على حقيقتها..

فلا ينبغي تخطئة الإسلام، والانسياق معهم فيما يقترحونه..

هذا إذا ما فرضنا أنهم لا يخادعون المسلمين في اقتراحاتهم هذه وسواها، مما بنوه على تصورات باهتة، وافتراضات خاطئة.

٥ ـ لا ينفع الإغراء المتمثل بقولهم: «وربما لما تفرق المسلمون» فإنه مبني على خطأ في تقويم الأمور، ناشئ عن إرادة الخداع، أو عن قصور الباع.

٦ ـ إن قولهم: «ولما تشوهت صورة الإسلام بنظر الآخرين». قد عرفنا: أنه غير سديد، إذ لا مبرر للحكم على الإسلام استناداً إلى تصرفات من ينسب نفسه إليه.. بل عليه أن ينظر في نصوص الإسلام وفي قواعده الثابتة في كتابه، وعن نبيه الكريم. ولو من خلال بيانات أهل بيته الذين دلَّ النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم، وأشار إليهم.

الجواب على السؤال الثامن:

وقد جاء في السؤال الثامن العديد من الفقرات، التي تحتاج إلى التوقف عندها، لبيان وجه الصواب والخطأ فيها، وهي التالية:

الزواج بعائشة خطأ:

ألف: قالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله» فعل أموراً أثَّرت على الإسلام بصورة سيئة، مثل: زواجه بعائشة، فقد كلَّف المسلمين عشرات الألوف من الضحايا في حرب الجمل.. وأصبحت موضوع فتنة بين المسلمين إلى يومنا هذا.. مع أنه كان يمكن للنبيِّ: أن يختار زوجة أفضل ـ وهو الذي لا ينطق عن الهوى ـ ويحفظ دماء المسلمين، ويدرأ الفتنة..

وهذا الكلام غير سليم، لما يلي:

أولاً: لأن المقصود ـ كما ظهر من كلام هؤلاء ـ: هو الطعن بعصمة النبي «صلى الله عليه وآله» بسبب ما أقدم عليه من أفعال، وهما أمران:

أحدهما: زواجه بعائشة..

الثاني: ما فعله ببني قريظة..

فأما بالنسبة لزواجه «صلى الله عليه وآله» من عائشة، فلم يكن السبب في حصول حرب الجمل، بل كان السبب في حصولها هو الطمع بالدنيا، وقِلَّة الرعاية للأحكام الشرعية، فحفَّز ذلك بعض الطامعين والطامحين، لشن الحرب على علي «عليه السلام»، رجاء أن يتمكنوا من قتله ليفوزوا بالسلطة، ويصبح العباد والبلاد في أيديهم. وقد استفادوا من عائشة لتقوية أمرهم، وشد أزرهم، واستجابت هي لهم، بسبب ضغائن كانت في صدرها على علي وأهل بيته «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

ولا يستطيع أحد أن يدَّعي: أن عائشة لو لم تكن معهم، فإنهم سوف ينصرفون عن شن الحرب.. لأن طمعهم بالسلطة قد تبلور في نفوسهم حين

أشركهم عمر في الشورى التي أراد لعثمان أن يصل إلى الحكم من خلالها.

فقتلى حرب الجمل، إنما قتلوا لأجل ما ذكرناه، ووجود عائشة قد أذكى حماس الجيش الذي كانت فيه.. والذنب فيما جرى يقع على عائشة والزعماء والقادة الذين نكثوا عهدهم ووعدهم، وخرجوا على خليفتهم الذي كانوا قد بايعوه بعد موت عثمان، وبايعوه قبل ذلك في يوم الغدير في أواخر حياة النبي «صلى الله عليه وآله».

وليس الذنب على النبي «صلى الله عليه وآله» بل هو قد سعى إلى احتواء تلك الحرب التي كان على علم بها من قبل جبرئيل الذي أخبره بها عن الله سبحانه.

ثانياً: إن صيرورة تلك الحرب فتنة بين المسلمين إلى يومنا هذا ليس سببه النبي «صلى الله عليه وآله»..

بل سببه تقصير المسلمين أنفسهم، ومتابعتهم لأهوائهم، وانسياقهم مع عصبياتهم، فيما يرتبط بالعمل بالنصوص التي سمعوها من نبيهم، والضوابط التي قررها قرآنهم. فكأن حالهم حال النعامة التي تدفن رأسها في الرمال حتى لا يراها الصياد، مع أن الحق واضح لذي عينين، ولكن الناس يتجاهلون، ويجحدون، ويحاولون التأويل، والتغيير والتبديل رضا منهم بالفتات الدنيوي ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾(١).

ثالثاً: بالنسبة لاختيار النبي «صلى الله عليه وآله» زوجة غير عائشة نقول: لكل زواج ظروفه، التي تفرض نفسها..

---

(١) الآية ١٨٥ من سورة آل عمران.

وقد ذكرنا في كتابنا الصحيح من سيرة النبي الأعظم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن هو المبادر لهذا الزواج، بل المبادرة جاءت من قبل أبوي عائشة بعد أن خلعها أبوها ـ على حد تعبير النصوص ـ من زوجها الأول.

وما فعله أبواها قد كان لأغراض، ربما لم تكن عادية.. بل كانت بعيدة المدى..

وقد أُحرج «صلى الله عليه وآله» بهذا الأمر، الذي جرى في وقت بالغ الحساسية بالنسبة لدعوته، ولعله لو رفض ذلك لتبدلت الأولويات لدى الراغبين في تمامية هذا الزواج، وينتهي الأمر في غير صالح دعوته، ولنشأت تعقيدات، وتبلورت أخطار كبيرة ومثيرة كان المسلمون والنبي «صلى الله عليه وآله» في غنى عنها.. فكان القبول بهذا الزواج سبباً في تأخير نشوء تلك الأخطار والتعقيدات الكبيرة. وكان هذا التأخير ضرورياً لكي يتجذَّر الدين في النفوس، وتتشعب أغصانه، لكي يصبح اقتلاعه صعباً.

وبذلك يتضح: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يبحث عن زوجة، لكي يختارها، بل هذا الزواج هو الذي فرض نفسه عليه.

رابعاً: إن كون النبيِّ لا ينطق عن الهوى حقيقة لا بد من البخوع لها، والاعتراف بها.. ولكن الأمر لا يرتبط بالنبي «صلى الله عليه وآله» وحده، بل هناك آخرون يريدون ترتيب الأمور، وتوجيهها بنحو يصب في مصلحتهم، ويحقق أغراضهم وطموحاتهم مهما كلفهم الأمر..

فليس الأمر كله بيد من لا ينطق عن الهوى، بل هناك من يوجد ظروفاً حرجة لا بد من تجاوزها بروية وحكمة، وبُعْدِ نظر، وتحديد الأولويات فيها.

ولأجل ذلك اضطر النبي إلى الهجرة، وبعث المسلمين المضطهدين من قبل قريش إلى الحبشة، وقبل ببعض شروط قريش فيما عرف بعهد الحديبية، والأمثلة على ذلك كثيرة.

كيف يتزوج النبي بطفلة؟!:

ب: ومن مآخذ هؤلاء السائلين على النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه تزوج بعائشة، وهي أصغر منه بأربعين عاماً في أحسن الأحوال، وقالوا: إن هذا غير مقبول إنسانياً في وقتنا الحالي، وأكثر الناس يستنكرونه، ولا يرضى أحد منا بتزويج ابنته أو أخته ذات الخمسة عشر عاماً بشيخ في سن الأربعين، ولو كان في غاية الصلاح وحسن الخلق.. فإن النبي قدوة للبشر في كل العصور، لا في خصوص عصره.

ونقول:

أولاً: هناك شواهد عديدة على أن عمر عائشة حين زواجها كان حوالي ربع قرن، وربما أزيد من ذلك، فقد أسلمت في أول البعثة، بعد ثمانية عشر إنساناً، كما يقول ابن إسحاق[1]. أي في أول سني بعثته «صلى الله عليه وآله». وإنما يوصف البالغون بأنهم أسلموا، أو لم يسلموا.

فلا يصح قولهم: إنها كانت أصغر من النبي بأربعين عاماً أو أكثر.

ثانياً: إن الأمور المتغيرة، والمتدحرجة، التي تتبدل من زمان إلى زمان

---

(١) راجع: سيرة ابن هشام ج١ ص٢٧١، وتهذيب الأسماء واللغات ج٢ ص٣٥١ و ٣٢٩ عن ابن أبي خيثمة في تاريخه عن ابن إسحاق، والبدء والتاريخ ج٤ ص١٤٦.

ليست إنسانية بمعنى: أن فطرة أو ذوق الإنسان يأباها.. بل هي أمور افتراضية واعتبارية، واصطلاحية تنتجها الأفكار والثقافات، لاعتبارات ظنت أنها تكفي للتبرير، والتحوير، والتزوير والتطوير.

والأمور الإنسانية هي تلك التي تنبع من إنسانية الإنسان، ومن تكوينه النفسي والمشاعري، أو الطبيعي، ولا تتغير بتغير الأزمان والأحوال.. فإنه منذ وجد وهو الآن، وسيبقى يضحك ويبكي، ويفرح ويحزن، ويتلذذ ويتألم، ويصح ويمرض، ويعلم ويجهل، ويقدر ويعجز، ويأكل ويشرب، ويجوع ويشبع، ويظمأ ويروى، ويأمن ويخاف، ويحب ويبغض، ويجبن ويشجع، ويموت ويحيا، وما إلى ذلك.

ثالثاً: أما ترجيح الناس الزواج لمن كانت في سن السابعة أو الثامنة عشرة، وعدم ترجيحه لبنت الخامسة عشرة، وكذلك قبول الناس زواج بنت السابعة عشرة بمن يكون عمره ثلاثين سنة، وعدم قبولهم زواجها بمن هو في سن اثنتين وثلاثين، أو خمس وثلاثين، أو أقل أو أكثر، فهو مجرد ترجيحات واستحسانات لا ترتبط بالمعنى الإنساني.. بل هي رغبات تقابلها رغبات أخرى تفرضها الحاجات والمصالح، والمشاعر وسواها..

فهذه الترجيحات المزعومة، لا تعدو كونها تطفلاً، على مشاعر الناس، ومصادرة لحرياتهم، وقراراتهم، وعبثاً بأحلامهم وطموحاتهم، وعدواناً على كراماتهم، بل هي احتقار لعقولهم.. إذاً لماذا يعاقبونهم لو ارتكبوا أي جرم ومخالفة، ولو كانوا في سن الرابعة عشرة، ولكنهم يحرمونهم من حق الحب والبغض، ومن اتخاذ قرارات ترتبط بحياتهم، لمجرد اعتبارات استحسانية،

واستنسابية..

مع أننا قد نجد لدى من يسمحون لهم بالزواج في السن المعتمد عندهم، الكثير من الزواجات الفاشلة، أو المؤهلة للفشل، بسبب فقدان الانسجام، وجفاف العاطفة، وهيمنة النكد على حياتهم الزوجية.

رابعاً: أما الحديث عن عدم رضا الأخ أو الأب: بأن يزوِّج أخته وابنته بشيخ في سن الأربعين، إذا كانت بنت خمس عشرة سنة، ولو كان في غاية الصلاح وحسن الخلق، فهو غير مقبول أيضاً لما يلي:

١ ـ إن ابن الأربعين ليس شيخاً، كما ادَّعاه هؤلاء، بل هو في عز شبابه، وفي أقصى حالات النشاط والفتوة..

٢ ـ ليس من حق الذي يؤمن بأن المادة أو الطبيعة هي الخالق والمدبر للكون والحياة: أن يحدد للآخرين ما يرضيهم وما لا يرضيهم.. بل ليس من حقه أن يضع لهم قوانين ونظماً أيضاً.. بل إن المادة هي التي تضع لهم ما تشاء، إن كانت ذات مشيئة!!

٣ ـ إنه لا ريب أن من الآباء والإخوة من يرضى لأخته، أو لابنته أن تتزوج ابن الأربعين والخمسين، ولاسيما إذا كان من أهل الرياسة والشرف، فكيف إذا كان من أشرف الناس، وأكرمهم؟! ومنهم من يعطي الخيار والقرار في هذا الأمر للمرأة نفسها.

٤ ـ هل إذا حصل تحوُّل في الذهنيات، وصار هذا مرضياً ومألوفاً، كما كان في الأزمنة السابقة باعتراف هؤلاء أنفسهم.. هل يصير مقبولاً إنسانياً ويزول اللوم عن فاعله، ويتحول الخطأ في هذه الأيام إلى صواب، أو الصواب

إلى خطأ؟!

٥ ـ هناك ظروف إنسانية قد تفرض زواج بنت الخامسة عشرة بابن الأربعين، ولاسيما إذا تعذَّر عليها أن تجد للزواج من يكون أصغر سناً من ذلك، وفرضت الظروف المادية، أو سواها عليها هذا الزواج.

وقد تفرض حالات اجتماعية، كموت أخت لها أولاد صغار، ولا يوجد من يهتم بهم غير أخت تلك المرأة، وكذلك الحال إذا كانت هذه الشابة لا تملك قسطاً من المؤهلات الجمالية، أو الثقافية، أو غيرها.. يجعل من يقاربها في السن يرغب في الزواج منها، فهل تحرم من الزواج والإنجاب انصياعاً إلى استحسانات هذا أو ذاك، أو أنها هي التي تقدِّر حاجتها، وتقرِّر، ثم تُقْدِم على ما تراه هو الأصلح لها، ﴿**بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾(١).

قتل اليهود في قريظة خطأ:

ب: يقول هؤلاء السائلون: إن من التصرفات النبوية المسيئة على المدى القريب والبعيد أمره «صلى الله عليه وآله» بقتل الرجال من يهود بني قريظة، وسبي نسائهم. وكان من الممكن أن يكتفي بطردهم من المدينة..

وهذا غير صحيح، وذلك لما يلي:

أولاً: إن الذين لا يهتمون، أو يجب أن لا يهتموا كثيراً لقتل الناس، هم الذين يعتقدون أن ثمة خالقاً عاجزاً، عاطلاً عن العمل، فاقداً للتأثير.. أو الذين يقولون: إن خلق البشر كان نتيجة تحولات المادة، وحركتها، والمادة

---

(١) الآية ١٤ من سورة القيامة.

لا تحاسب، ولا تراقب، ولا تدرك، ولا تعقل، ولا تضع قيماً، ولا ثواباً، ولا عقاباً، فلماذا، أو من الذي يمنع من قتل الناس، ومن السرقة، ومن فعل أي شيء يحلو للناس فعله؟!

ولذلك، فنحن نتوقع منهم: أن لا يرف لهم جفن لقتل ما بين عشرة ملايين إلى ثمانين مليون إنسان في الحرب العالمية الثانية، ولا أن يهتم أحد منهم إذا ألقت أمريكا على مدينتي ناكازاكي، وهيروشيما اليابانيتين القنابل الذرية، وقتلت عشرات، بل مئات الألوف..

وكذا حين أبيد شعب الهنود الحمر في أمريكا، وأبيد السكان الأصليون أيضاً في أستراليا، ولا تزال الحروب الطاحنة تستورد وتصدَّر من وإلى مختلف البلاد ليصلى بنارها الملايين من العباد.

وهذا يعطي: أن مناداته بحقوق الإنسان ليس سوى خداع للسذج والبسطاء، والخداع عند من لا يؤمن بخالق، ولا بحساب، ولا بثواب وعقاب، ربما كان واجباً عليه، أو طريقة يعتمدها من دون تحرّج، أو خجل، أو شعور بتأنيب الضمير.

ثانياً: إن الأقوال في عدد المقتولين من بني قريظة بين حدَّين:

أعلاهما: أنهم كانوا ألف رجل[١].

وأدناهما: أن المقتولين كانوا ثلاث مئة فقط، وقيل: أربع مئة[٢].

ويقول ابن شهرآشوب: إن عدة بني قريظة كانت سبع مئة[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢٩١.

(٢) حياة محمد ورسالته لمولانا محمد علي ص٧٥.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج١ ص٢٥٢.

وقد قال تعالى: ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾(١).

ونرجح: أن يكون عدد المقتولين حوالي مئة أو أقل، أو أكثر.. لأنهم ذكروا: أن عدد السبايا من النساء والذراري كان سبع مئة وخمسين(٢).

وقيل كانوا: تسع مئة(٣).

مع ملاحظة إمكان وقوع التصحيف بين كلمتي: سبع وتسع.. فإذا كان المجموع من المقاتلين وعوائلهم سبع مئة مثلاً، فينبغي أن تكون العوائل خمس مئة، والمقاتلون مئتان.. وقيل: كانوا ألفاً(٤).

ونحن نعلم: أن النساء والذرية يكون عددهم عادة أضعاف عدد الرجال، وإذا كان قد قتل شطراً، وأطلق سراح الباقين، فمعنى ذلك: أن يكون المقتولون حوالي ماءة، ويكون المأسورون الماءة الأخرى.

ولعل بلوغ الأقوال في عدد المقتولين إلى اثني عشر قولاً يشي بأمرين:

أحدهما: أن أحداً لا يملك إحصاءات دقيقة لعدد المقتولين.

الثاني: أن هذا التفاوت الواضح في الأعداد يدل على أن هناك من يرغب في تضخيم الأرقام، ربما للتشنيع على الإسلام وأهله..

---

(١) الآية ٢٦ من سورة الأحزاب.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٥٢ والتنبية والإشراف ص٢١٧ وراجع: إمتاع الأسماع ج١ ص٢٤٩ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص١٦ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٣٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٥١٨ عن ابن عباس.

(٣) الثقات لابن حبان ج١ ص٢٧٨ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق ١ ص٢٩٣.

(٤) بهجة المحافل ج١ ص٢٧٦.

ثالثاً: إن بني قريظة قد خانوا عهدهم، وأربكوا المسلمين في أحرج اللحظات، حين صاروا يحاولون التحرش بعوائل المسلمين في المدينة، فيما كان الرجال يواجهون جيوش الأحزاب في حرب الخندق.. فما معنى أن يطلب من المسلمين الإبقاء عليهم وإبعادهم عن المدينة؟!

أليس عقلاء البشر قد شرَّعوا قتل الخونة، والقتلة والمجرمين، والمفسدين في الأرض؟!

ولماذا لا تزال عقوبة الإعدام يُعمل بها في كثير من بلاد العالم الذي يوصف بالمتحضر؟!

بل نشهد اليوم دعوات إلى إعادة العمل بها في عدة بلدان سبق أن ألغتها من قانون العقوبات.

رابعاً: إن بني قريظة لم يرضوا: بأن يحكم فيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واختاروا سعد بن معاذ الذي كان حليفاً لهم في الجاهلية، فرضي «صلى الله عليه وآله» لهم ما اختاروه هم لأنفسهم، فحكم فيهم بما علم.

الفصل الرابع

- السؤال التاسع..
- السؤال العاشر..
- السؤال الحادي عشر..

الجواب على السؤال التاسع:

قد ذكروا في السؤال التاسع أموراً تحتاج إلى بيان..

سبب النفاق، الخوف من القتل:

فقد جاء في ذلك السؤال: أن ظاهرة النفاق ظهرت في زمن النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم اختفت وانتهت بموته، وارتدت كثير من قبائل العرب عن الإسلام..

وهذا يدل على أن الخوف من القتل هو السبب في ظهور النفاق، وأن الإسلام كان مفروضاً عليهم بالقوة وأن الكثيرين كانوا غير مقتنعين به؟!

ونجيب:

بأن هذا الكلام لا يمكن قبوله لعدة أسباب:

أولاً: كيف يمكن تصور زوال النفاق بموت النبي «صلى الله عليه وآله»، ونحن نعلم: أن المنافقين إنما كانوا في المدينة، وهم الذين انسحبوا، أو انسحب أكثرهم من بين المسلمين في حرب أُحد، وكانوا حوالي ثلث الجيش؟! فإن أحداً من هؤلاء لم يعلن ارتداده، فكيف يقول هؤلاء: إن ظاهرة النفاق انتهت بموت النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

فإن كانوا قد خرجوا من الإسلام علناً، فلماذا لم نسمع بذلك، ولم يسجِّل التاريخ لنا أمراً بهذه الأهمية والخطورة؟!

وإن كانوا قد أبقوا أفعالهم مستورة، فمعنى ذلك: أن ظاهرة النفاق لم تنته بموت النبي «صلى الله عليه وآله».. وإن حسن إسلامهم بسبب موت النبي.. فذلك يعني: أن مشكلتهم كانت مع النبي نفسه، فهل يكون مسلماً من تكون له مشكلة مع نبي الإسلام «صلى الله عليه وآله»؟!

أما بالنسبة للذين يقال: إنهم ارتدُّوا بعد موت النبي «صلى الله عليه وآله»، فنقول:

إن قسماً منهم إنما ارتدَّ قبل موت النبي، مثل مسيلمة الكذَّاب، وطليحة بن خويلد، وغيرهما..

وقسم آخر حورب ووصف بالردة، لأنه لم يبايع أبا بكر، واعترض على تولِّيه، بعد أن كان أبو بكر وعامة الصحابة قد بايعوا علياً «عليه السلام» في يوم الغدير.. وإنما وصفوهم بالمرتدين لتبرير حربهم وإخضاعهم للسلطة بالقوة..

ثانياً: إن الداعي للنفاق لم يكن هو الخوف من القتل، فإنهم يذكرون أنهم حين أرادوا قتل بعض المنافقين الذين جهروا بالجرأة على النبي، كان «صلى الله عليه وآله» هو الذي منع من إلحاق أي أذى بهم.. وأطلق إعلاناً بالأمان الحاسم للجدل، وأوقف المطالبة بقتل ذلك المنافق، وأمثاله، بقوله: «لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»[1].

---

(١) المصنف للصنعاني ج٩ ص٤٦٩ عن ابن المديني، والحميدي عن ابن عيينة، وأخرجه

ثالثاً: إن الدوافع الأشد تأثيراً في ظهور النفاق هي الأطماع الدنيوية بالمناصب، وبالأموال التي يتوقعون الحصول عليها من غنائم الحروب. بالإضافة إلى الإقطاعات للأراضي الزراعية، وربما طمعوا بالحصول على السبايا، وعلى المماليك الذين يعملون لهم في حقولهم، وفي زراعاتهم، ومواشيهم، وما إلى ذلك..

ويبدو: أن إخبار النبي «صلى الله عليه وآله» لقريش في أول بعثته: بأن الله سوف يفتح عليه كنوز كسرى وقيصر قد أذكى شهية فريق من الناس، فتظاهروا بالإسلام رغبة في الحصول على بعض من ذلك.

فما يقوله هؤلاء، من أن سبب النفاق هو الخوف من القتل، واعتبار ذلك من سلبيات الإسلام هو من مفردات التجني التي لا تستند إلى دليل، وليس إلى إثباتها سبيل..

وعلينا أن لا ننسى: أن النفاق حالة شائعة في البشر، في الدول، والأحزاب، والأديان، وغير ذلك.. وفي جميع المواقع، والمواضع الحياتية.. ولا تختص بالمسلمين.. فإن جميع الشعوب تمارس النفاق لأسباب مختلفة.

رابعاً: إن هؤلاء يريدون أن يشكِّكوا في صلاحية دين الإسلام، بادِّعاء: أن وجود المنافقين يدل على أن الكثيرين لم يقتنعوا به، فدعاهم الخوف من القتل إلى التظاهر به..

وهذا الكلام غير مقبول.. فإن حقائق الإسلام وتعاليمه لا تزال أمام الأعين، وفي متناول الأيدي، فلماذا لا يحكمون عليه استناداً إلى دراستها دراسة

مسلم، والبخاري (ط سنة ١٣٠٩هـ) ج٣ ص١٣٢ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٣١.

علمية دقيقة وعميقة؟! فلو أنهم وجدوا أن فيها أي هنات أو ضعف فليعلنوه، مع شواهده وأدلته.. لأن الاستناد إلى قلّة أو كثرة المنافقين لإثبات عدم صلاحية تعاليم الإسلام يدل على عجزهم عن النيل منه بالوسائل العلمية، وبالبحث العقلاني والموضوعي، فيلجأون إلى هذا النوع من الإيهام، المستند إلى ادِّعاء فارغ من الشاهد والدليل، بل الشواهد متوافرة على نقضه وإسقاطه.

قتل المرتدين لماذا؟!:

خامساً: إن من دلائل خواء دعواهم هذه: أنهم لجأوا إلى تأييدها بالقول: بأن الذين يتركون الإسلام في أيامنا هذه لا يستطيعون التصريح بعقائدهم.. وهذا يجعل الإسلام ضد حرية الفكر، والاعتقاد، ويكون الأساس لخلق مجتمع منافق.

ونقول:

١ ـ إن خوف الذين يتركون دين الإسلام في أيامنا هذه ليس سببه الإسلام، لأن الإسلام لا يملك سلطة فاعلة، وقادرة ومؤثرة، والممالك التي تسمي نفسها إسلامية لا يعمل جُلّها بأحكام الإسلام، بل أكثرهم في الحقيقة منافقون، يظهرون الإسلام، وهم خاضعون لإرادات أعداء الإسلام ومناوئيه، ممن يسمونهم بالمجتمع الدولي..

كما أنهم ينقادون لمقررات الأمم المتحدة، وغيرها من المنظمات والمحافل الدولية التي تحركها القوى الكبرى..

وهذا يدل على أن خوفهم ليس من الإسلام في أحكامه، ومناهجه، وتعاليمه.. بل خوفهم من غضب الناس العاديين، ومن نبذهم واحتقارهم لهم،

وطردهم، ومقاطعتهم..

٢ ـ ربما يكون سبب خوف أكثرهم على نفسه ـ إن صح ذلك بالنسبة لبعض الأفراد ـ: أن الواحد منهم لا يكتفي بمجرد الارتداد، بل يبدأ بالتشنيع على الإسلام، وتوهين رموزه، والتشهير بهم بصورة ظالمة، وغير منطقية.. بل يظهرون من التحدي، والتبجح، والاستكبار، والاحتقار للدين وأهله، ويثيرون غضب الناس عليهم بذلك، بل ويطعنون بمقدساتهم وقرآنهم، ونبيِّهم، وشعائرهم، وعباداتهم بصورة وقحة ومؤذية..

فمن الطبيعي أن يواجه هؤلاء ردات فعل سلبية من قبل الذين يشعرون بالمظلومية، ويرون أنفسهم في موضع المهان والمحتقر، والمتهم في عقله، ودينه، والمطعون في كرامته وعزته، وفي أعز شيء عليه، وأثمنه، وأغلاه لديه.

بل إن هؤلاء المرتدين لا يقرّ لهم قرار، ولا تخمد لهم نار، ولا يدَّخرون وسعاً ولا جهداً إلا ويبذلونه في سبيل دعوة الناس، وخصوصاً المسلمين إلى الردة عن دينهم، والإلتحاق بركبهم.

٣ ـ إن الشيوعيين وغيرهم من الأحزاب العلمانية واللادينية هم من هذه المجتمعات المسلمة، أو المسيحية، أو غيرها.. قد خرجوا من دينهم، وأصبحوا ماديين، وهم يعيشون في قلب المجتمع الذي خرجوا منه، وخالفوه وناصبوه العداء، ولا يزالون يدعون الناس إلى الخروج من دينهم، وإلى الإلحاد، والكفر بالله، وقبول أفكارهم، والالتزام بمناهجهم، ويشيعون الفساد، ويروجون المنكرات، ولا نراهم خائفين على أنفسهم من القتل، بل قد يكون الناس المسلمون هم الذين يخافون منهم..

وأبسط الأمور التي نراها ونسمعها ليل نهار: هو أنهم لا يتورعون عن وصف الدين والمتدينين ـ بسبب، أو بدون سبب ـ: بالتخلف والرجعية، والإنحطاط، والخرافة، والخشبية، وغير ذلك من كلمات ينبو عنها السمع، ويمجُّها الذوق، ويأباها الخلق الكريم، ونجد المسلمين، والإلهيين صابرين محتسبين..

ولعل معرفتهم بالتزام المسلمين بالضوابط الأخلاقية والشرعية في تعاملهم، والتزامهم بمبدأ العفو عن الجاهلين على قاعدة: ﴿**وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾(١)، وبأن يكون الحكم للعقل، والمنطق السليم، وللدليل على قاعدة: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ**﴾(٢)، وحرصهم على أن يكون الجدال بالتي هي أحسن، وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.. ـ إن ذلك كله ـ اعتبره الآخرون نقطة ضعف يمكنهم النفاذ منها لشن حرب إعلامية، تهدف إلى هزيمة أهل الحق نفسياً، بعد أن عجز أهل الباطل عن المواجهة بالمنطق والعقل، والدليل..

وقد يبدو أحياناً: أن بعض المسلمين يبادرون إلى ما يشبه أفعال مناوئيهم، فإن ذلك يأتي غالباً على سبيل الدفاع عن النفس، وعن الدين.

٤ ـ إن كان ثمة خوف من القتل لدى من يرتد عن الإسلام، فهل من يرتد عن المسيحية، بل حتى عن الشيوعية وغيرها من الأحزاب اللادينية، لا يخشى على نفسه من القتل غيلة وسراً مِن قِبَل أهل دينه وحزبه السابق، إن لم

---

(١) الآية ٦٣ من سورة الفرقان.

(٢) الآية ١١١ من سورة البقرة.

يمكنهم قتله علناً وجهراً؟!

وقد رأينا الكثير من الحالات، ولا نزال نرى أشخاصاً كانوا من أتباع الديانات والأحزاب الأخرى غير الإسلام، فاختاروا الإسلام، فاغتالهم أتباع الأديان والمذاهب والأحزاب غير الإسلامية التي كانوا في سابق أيامهم منها.. فلماذا لا يعتبر ذلك من دلائل دموية ذلك الدين، أو المذهب، أو الحزب؟! ولماذا اختص الأمر عند هؤلاء بالإسلام؟!

٥ ـ لماذا كان هذا سبباً في تكوُّن مجتمع منافق يتظاهر بالإسلام، ويخضع للقوة، ولا يكون في الأديان والمذاهب والأحزاب الأخرى سبباً في تكوّن مجتمع منافق فيها؟! ولماذا يجعل ذلك الإسلام ضد حرية الفكر، ولا يجعل ذلك المسيحية، وسائر الأديان والمذاهب والأحزاب ضد حرية الفكر أيضاً؟! وكيف جرَّت الباء هنا، ولم تجرّ الباء هناك؟!

الإكراه في الدين دليل ضعفه:

سادساً: وحول قولهم في السؤال: «أليست العقيدة التي تفرض نفسها بالقوة، وبالتهديد بقطع الرؤوس هي عقيدة ضعيفة خائفة، تعلم: أن سر بقائها هو إجبار أتباعها على عدم تركها»؟! نسجل ما يلي:

١ ـ لقد تكرر الجواب منا على هذه المقولة، وقلنا: إن الإسلام لم يفرض نفسه على أحد في أي ظرف وزمان، بل كان الناس هم الذين يقبلون عليه، ويرون أنفسهم سعداء في الدنيا والآخرة بالتحلِّي به، والدخول فيه..

٢ ـ إن الإسلام هو الذي يقول: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1].

---

(١) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

ويقول: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(١).

ويقول: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٢).

٣ ـ هل كان النبي وهو في مكة قادراً على إكراه أحد على الدخول في دينه؟! أم أن المشركين هم الذين كانوا يعذِّبون الذين كانوا يسلمون حتى الموت، وأول من مات تحت التعذيب ياسر وزوجته؟!

وهل أكره المهاجرون إلى الحبشة ملك الحبشة، وسائر من أسلم من أهل تلك البلاد على الدخول في الإسلام؟!

وهل هددوهم بالقتل وقطع الرؤوس؟!

وهل الذين أسلموا من أهل المدينة، وبايعوا النبي «صلى الله عليه وآله» عند العقبة قبل الهجرة كانوا مكرهين ومهددين؟!

وهل الذين أسلموا بعد هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة قد هُدِّدوا بالقتل أيضاً؟!

وهل كان «صلى الله عليه وآله» قادراً على قتل أحد في السنين الأولى من الهجرة لمجرد امتناعه عن الدخول في دينه، أو لأي سبب آخر؟!

ولماذا أعطى النبي «صلى الله عليه وآله» أهل مكة الأمان قبل أن يسلموا، وقال: «من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، ثم عفا عنهم، وأطلق سراحهم بعد ظفره بهم؟!

---

(١) الآية ٢٩ من سورة الكهف.

(٢) الآية ٩٩ من سورة يونس.

ولعل هذه المعاملة كانت سبباً في إقبال الكثيرين منهم على الدخول في الإسلام.. وصاروا بعد ذلك يعلنون إسلامهم بملء اختيارهم، وبعيداً عن أي تهديد أو إكراه..

وحين صارت الوفود، تأتي من كل حدب وصوب إلى المدينة سنة تسع وعشر من الهجرة لتعلن إسلامها، هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل إليهم من يأتي بهم إليه، ويوقفهم بين يديه ليخيِّرهم بين الإسلام وقطع الرأس؟!

أم كانوا يأتون إليه باختيارهم وبمبادرة منهم؟!

والأسئلة في هذا الاتجاه كثيرة وغزيرة، لا مجال لاستقصائها..

٣ ـ إن الإسلام في أيامنا هذه منتشر في مختلف بقاع الأرض، ولا نراه يُكره أحداً على الاستمرار عليه، وعدم تركه.. ولا يستعمل القوة ولا السيف، والقتل للإكراه على الدخول فيه، فلماذا، وكيف تجاوز عدد المسلمين المليار ونصف المليار إنسان؟! فهل كان الإسلام ضعيفاً خائفاً، فهدد الناس وأجبرهم على الدخول فيه في البداية، فلما اشتدَّ عوده تخلَّى عن سياسة الإكراه والإجبار؟!

أم أنه لا يزال يمارس هذه السياسة في الخفاء على الشعوب، أفراداً وجماعات في جميع بقاع الأرض؟!

أم أن الأمر لا يعدو كونه مجرد ادِّعاءات زائفة، لخداع الجاهلين، والتأثير على السذج والبسطاء والمغفلين؟!

الجواب على السؤال العاشر:

وقد تضمن السؤال العاشر إشارات إلى أمور عدة، وهي التالية:

لا دليل على أي عقيدة:

ألف: قالوا: لا يوجد دليل واضح وصريح على أي عقيدة..

ونقول:

أولاً: إن هذا النفي القاطع يطال حتى دعوى من يزعم أن خالق الكون ومدبره هي المادة وتطوراتها وتحولاتها، وأن هذا الكون المليء بالنظم الدقيقة، والأسرار العميقة، والتفاصيل التي لا تحصى، والحقائق الباهرة التي لا تجارى هو نتيجة التحولات والتطورات عبر ما لا يحصى من المليارات من السنين.

فإن هذه النظرة لا تعدو كونها توهمات موهونة، واحتمالات مجنونة، لا تمت إلى الفكر ولا إلى العقل بصلة.

فنحن نقبل من هذه القاعدة التي أطلقوها بهذا المقدار من الإقرار على أنفسهم..

وأما ادِّعاؤهم: أن الآخرين لا يملكون دليلاً واضحاً وصريحاً على ما يعتقدون به، فهو مجازفة مردودة عليهم، إلا أن يأتي بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، المثبتة لما يدَّعون، أو يتوهمون.

ثانياً: كيف يمكن لهؤلاء نفي معجزات الأنبياء بهذا الجزم والحزم، واليقين، فإن أحداً منهم لم يعش في تلك الأزمنة، ولا رأى أولئك الأنبياء، ولا سمع أقوالهم، ولا شاهد دلائلهم، وليس لديه دليل ولا شاهد يشهد على كذب ما ينسب إليهم من معجزات اجترحوها، ودلائل أقاموها.

وأي ضمير علمي، ووجدان حي، وبحث نزيه وموضوعي، يسوِّغ لهم الحكم بعدم وقوع ما ينقل من معجزات فرضت على الناس الإيمان والتصديق

بما جاءهم به أنبياؤهم.

ولو جاز وصحَّ النفي الجازم، المستند إلى قاعدة: عدم الدليل دليل على العدم، لجاز نفي أصل وجود تلك الأمم، والأنبياء..

ولجاز لنا أن ننفي أبده البديهيات أيضاً، ونشكك بالواضحات..

ولكان لنا أن ننفي وجود العقول والأرواح للبشر، بل أن ننفي نفس وجود البشر أيضاً، إذا كان المطلوب هو وجود دليل يدرك بواسطة الحواس.

أخطاء في الكتب السماوية:

ب: قولهم: في الكتب السماوية أخطاء (ظاهرية على الأقل) لا يمكن رفعها إلا بالتأويل والتفسير، هو الآخر غير صحيح..

أولاً: لأنه إطلاق للكلام بلا أدلة ولا شواهد، وهذا لا يُقبل عند أحد.

وكل كلام يصدر عن متكلم لا يؤخذ به، حتى لو بلغ إلى درجة اليقين عند قائله، ولا يكون حجة إلا عليه، وليس له أن يفرضه على الآخرين، إذا كان عارياً عن الشاهد والدليل..

والسائل لم يذكر لنا أياً من موارد تناقضات القرآن التي ادَّعى وجودها، لكي ننظر فيه..

وهكذا يقال بالنسبة لدعواه وجود أخطاء في القرآن، فإنه لم يذكر لنا مواردها لكي نعرضها على الموازين المعترف بها عند العلماء والعقلاء والباحثين.

ثانياً: إن التفسير أمر معتمد ومقبول لدى جميع العقلاء، فهناك هيئات لتفسير الدستور مثلاً.. فيوكل أمر تفسير ما أُبهم منه على الناس، أو على من

يريدون تنفيذ أحكامه إليها..

والتفسير هو وظيفة كل معلم، وأستاذ، وهو المطلوب من أهل الاختصاص في كل فنٍّ، فلماذا نجفل منه؟!

ونحن نعلم: أن الناس ليسوا في مستوى واحد من حيث الفهم، والعلم، والإدراك للدقائق واللطائف، والحقائق.. فيحتاج الأضعف إلى الأقوى ليأخذ بيده، ويفسر له ما أشكل عليه، وقصر فهمه عنه.. والنسبية في مستويات الفهم والإدراك، ونيل الحقائق والدقائق هي السمة الظاهرة لدى البشر، ولا يخفى على ذي حجى..

ثالثاً: والأمر كذلك بالنسبة إلى التأويل الذي يعني الأَوْل، والرجوع، أو ما ينتهي إليه الأمر..

ويراد به معرفة: أن الأمر الكذائي مثلاً، إلى أين يؤول، وإلى أين ينتهي.. هل يؤدي إلى السجن، أو الهلاك، أو إلى النجاح والفلاح مثلاً؟!

أو سيؤدي إلى الشفاء، أو إلى المزيد من المرض والتعب، والعناء؟! فتأتي البيانات من أهل الخبرة لتشرح كيف ستجري الأمور، إذا أخذ الإنسان بهذا الخيار أو بذاك، فالمؤول يكاد يشبّه بالطبيب العارف بتداعيات هذا العلاج أو ذاك، فيخبر عن تطورات الحال، وعن العاقبة والمآل.

وليس المراد بالتأويل: رفع اليد عن النص والظاهر المفهوم من الكلام إلى معنى آخر اقتراحي لا تدل عليه الكلمات، ولا تحويه التراكيب، ولا تشي به الإشارات..

وربما أريد بالتأويل أيضاً: ما يساوق تطبيق المعنى على موارد أخرى لها

نوع ارتباط بالمعنى الظاهر، فيكون الإلماح إليها على سبيل الإجراء، أو الإيماء والإيحاء والإطلاق المجازي والتوسعي، وهو أمر مقبول ومتداول في لغات البشر أيضاً.. ولاسيما لغة العرب منهم.

لا فائدة من اعتناق أيَّة عقيدة:

ج: ثم قالوا: فما فائدة اعتناق عقيدة معينة؟! ولماذا عليَّ أن أصدق تبريرات عقيدة، دون سواها؟!

ونجيب:

أولاً: إذا كان الله تعالى قد أتم الحجة على الناس بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فقد نكَّل الجبابرة والطواغيت بالأنبياء، وحاولوا محاصرتهم، والحدّ من حرية الحركة لديهم، وربما قتلوهم، أو سجنوهم، كما وحرَّف المضلُّون كلام الله عن مواضعه، فإذا لم يحرِّك الناس في نطاق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ساكناً.. بل رضوا بالمنكر، وأعان كثير منهم عليه، وكرهوا المعروف، ومن قال به، أو دعا إليه، فإن ذلك لا يعني أن يصبح الناس كالأنعام بلا تكليف، وأن يُعفوا من مسؤولية الصلاح والإصلاح.. والبحث عن الحق الذي جاءهم، وقصروا في حفظه، وفي نشر تعاليمه، وفي دفع الجبارين عن التلاعب به، وتحريفه. ولا يبيح لهم ذلك الأخذ بالباطل، وممارسة المنكرات، ومجانبة المعروف..

ثانياً: لم يقل أحد: إن على الإنسان أن يصدق هذه التبريرات أو تلك، بل المطلوب هو البحث عن الحق، والتماس السبل الموصلة إليه، والشواهد الدالة عليه.

هل الحجة في كلام الله أو البشر؟!:

د: ثم يتابع هؤلاء، فيقولون: وهل الحجة في كلام الله، أو في كلام البشر (الذين هم العلماء والمفسرون الخ..)؟!

وجواب هذا التساؤل واضح، وهو: أن الحجة هي كلام الله، وإذا قَصُرَ فهم البعض عن إدراك المراد من كلام الله، أو كلام أنبيائه، فعليه أن يرجع إلى من هو أعلم ليفهمه إياه من كلام الله، وفق القواعد العلمية التي يعتمدها عقلاء البشر في كشف المعاني من النصوص التي تحملها..

ولكن إذا وجدنا في كلام العلماء والمفسرين ما هو مناقض لكلام الله، فالحجة هي كلام الله، ويجب عدم الأخذ بالخطأ الذي وقع فيه هذا المفسر أو ذاك، وقد ورد في الحديث الشريف: الأمر بأخذ ما وافق كتاب الله، ونبذ ما خالفه، لأن ما خالف كتاب الله زخرف باطل.

الحساب على التناقضات في الأديان:

هـ: ثم يسألون: هل من المعقول لشخص وجد تناقضاً في القرآن، فلم يؤمن به أن يحاسبه الله لأنه لم يقرأ تفسير ابن كثير مثلاً؟!

وكيف يحاسب الله الناس على أمر ليس فيه أدلة قطعية؟!

ولماذا وجدت هذه التناقضات الظاهرية من الأساس؟!

أليس من المفترض بالكتب السماوية أن تكون خالية من الأخطاء، باعتبارها وسيلة هداية؟!

ونلاحظ على هذا الكلام أموراً، نذكر منها:

أولاً: ليس في القرآن تناقض، فعلى من يدَّعي ذلك: أن يقدِّم الدليل والبرهان.. ولا يصغى لهذه الادِّعاءات الهادفة إلى إضعاف الثقة بالقرآن.

ثانياً: لعل من يطرح هذه الأسئلة التي هي مجرد ادِّعاءات خاوية عن الدليل يرمي إلى أمرين:

أحدهما: كسر هيبة القرآن والنيل من قدسيته، وتخفيف موقعه في وجدان الناس، لتصبح النظرة إليه تساوي النظرة إلى كتاب تعليم الطبخ مثلاً، أو ما هو أدنى من ذلك أيضاً.

الثاني: إن ترداد هذه العبارات يؤدي إلى تكريس مضمونها، الذي يبدأون بطرحه على شكل افتراض.. بهدف تكريسه بصورة إيحائية، وتدريجية، كمأخذ حقيقي على القرآن، من شأنه أن يفقده القيمة والتأثير في وجدان الناس، حين يتسرب الوهن إلى درجة اليقين والإيمان به..

ونحن نعود فنكرر الطلب بالكشف عن هذه التناقضات التي يدَّعون وجودها في القرآن، لكي ننظر فيها بعين البصيرة، وفق المعايير العلمية الدقيقة.

ثالثاً: من قال لهؤلاء: إن الله يحاسب من لم يقرأ تفسير ابن كثير، أو غيره ـ فإن ذكر هذا التفسير في كلامهم كان على سبيل المثال ـ إذا وجد تناقضاً في القرآن، فإن القرآن لا يمكن أن يكون فيه تناقض؟!

فهذا من باب فرض المحال الذي لا يوصل إلى نتيجة..

رابعاً: إن تفسير ابن كثير، أو غيره لا يستطيع أن يدَّعي أنه قد اكتشف جميع حقائق القرآن، ودقائقه..

وحتى ما يدَّعي أنه قد كشفه، فإن أحداً لا يضمن أن يكون قد أصاب فيه

متن الحقيقة.. فلعله أخطأ في فهم كثير من الموارد، أو أخذ عمن أخطأ في فهمها.

خامساً: إن هذا يسقط السؤال التالي، الذي يقول: كيف يحاسب الله الناس على أمر ليس فيه أدلة قطعية؟!

ونضيف إليه هنا: أن الله تعالى لا يحاسب على أمر ليس فيه حجة، فإن الحجة حتى لو كانت ظنية في نفسها، مثل ظواهر الألفاظ التي يعتمدونها في بياناتهم، ويحتجون، ويقبلون الاحتجاج بها عليهم.. إلا أنها قطعية الاعتبار، من خلال الدليل الذي أعطاها صفة الحجية.

سادساً: والغريب في الأمر: أن هؤلاء يكررون دعاواهم، ويعيدون السؤال الذي لا مبرر له، فيقولون: لماذا وجدت هذه التناقضات الظاهرية من الأساس؟! مرسلين سؤالهم هذا إرسال المسلمات، ليوهموا الجاهلين، والسذَّج: بأن هذا الأمر حقيقة واقعة لا نقاش فيها..

ثم يزيدون في تأكيد هذه الخدعة، لتكريس هذا الإيحاء الماكر، فيقولون: أليس من المفترض بالكتب السماوية أن تكون خالية من الأخطاء؟!

ولا زلنا وسوف نبقى نطالب هؤلاء بإعلان هذه الأخطاء على الملأ، إن كانوا يتوهمون أن ثمة ما يوهم ذلك.. وسنرى: أن ما يقدِّمونه على أنه أخطاء أو تناقضات سوف يفضحهم في فهمهم العلمي، وفي وعيهم، ويؤكد عدم صحة معارفهم، وخطأ إدراكاتهم.

ونحن نعلم: أن الكتب السماوية، وإن كانت وسائل هداية، ولكن ذلك لا يعني أن تكون بياناتها في أدنى المستويات، وأضعف الدرجات.. بل يجب

أن تكون هي الأجمع، والأرقى، والأنقى، والأبقى..

ولذلك احتاجت إلى التفسير والمفسرين، وهم الأنبياء الذين جاؤا بها من عند الله تعالى، أو أوصيائهم الذين أرشد الأنبياء إليهم، ودلُّوا عليهم.. وعودة الناس إليهم لفهم الحقائق والدقائق يؤكد علاقتهم بهم «صلوات الله وسلامه عليهم»، من خلال الشعور بالحاجة إليهم في ضمان الفوز والسعادة، والحياة الكريمة في الدنيا والآخرة..

وهذا أيضاً يمنع من ظهور الاختلاف بين الناس في التفسير والتأويل، تبعاً لمستويات أفهامهم، أو ما تقتضيه مصالحهم، وميولهم، وأهواؤهم.

الجواب على السؤال الحادي عشر:

وقد تضمن السؤال الحادي عشر أموراً عديدة، نجمل الكلام فيها على النحو التالي:

إختلاف البيئة يقتضي بوحدة العقوبة:

ألف: ذكر هؤلاء: أن عدل الله يقتضي أن يحاسب الناس الذين اختلفت أديانهم بسبب اختلاف البيئات التي عاشوا فيها، ويحكم فيهم وعليهم بحكم واحد، ويكون لهم مصير واحد، لأن معظم البشر تشكلت قناعاتهم في معظمها، وتكونت طريقة تفكيرهم، ورؤيتهم للأمور بفعل البيئة التي نشأوا فيها.

وغالبيتهم يتبعون الدين الذي ورثوه من آبائهم، واطمأنوا له، وصاروا لا يقرأون إلا كتب علماء طائفتهم، فنظرتهم آحادية، وليست شاملة.

ولأن البيئة هي التي صنعتهم.. فالعدل يقتضي: أن يكون حساب الجميع

واحداً، وإن اختلفت أديانهم.. فإما يدخلون النار جميعاً، أو يدخلون الجنة جميعاً.. فلا يوجد اختلاف في عملهم، ولكنهم ولدوا في بيئات مختلفة، وهذا خارج عن إرادتهم واختيارهم.

ونلاحظ على كلامهم هذا:

أولاً: أن البيئة، وإن كانت ربما تؤثر على طريقة تفكير الناس، ولكنه ليس أثرها بالذي يسلب القدرة على التغيير والتحول، وإبعاد الشوائب، وإزالة المعايب.

والشاهد على ذلك: أننا نرى الكثير من التحول عما تقتضيه البيئة، إلى مسارات أخرى تناقضها..

بل إن التحول قد يحصل حتى حين تكون البيئة تملك أقوى العناصر المؤثرة والفاعلة، وأعظم الإمكانات التي تفرض نفسها على طموحات الناس، وتدغدغ مشاعرهم، وتتناغم مع غرائزهم، وتستجيب لشهواتهم..

وأكتفي هنا بذكر مثالين اثنين، وإن كانت الأمثلة كثيرة وشائعة، يُظهران أن إرادة الإنسان عنصر رئيس وفاعل ومؤثر جداً في التحولات الكبرى في مسار البشر وفي مصيرهم.. فهم يتحولون من اتجاه إلى اتجاه آخر معاكس له، فينتشر المسار الآخر، ويسري في المجتمعات كسريان الدم في العروق، ويبدو كأنه يقتلع أمة من جذورها ليستبدلها بأمة تكاد لا تشبهها، لا من قريب ولا من بعيد..

فيحوِّلها من أمة جهل وتخلف وسقوط، وخمود وهمود إلى أمة صاعدة ومتطورة، ومتحضرة يفيض فيها العلم، ويتكامل فيها الفكر، وتبهر العالم

بإنجازاتها الحضارية على كل صعيد..

ويحوِّلها من أمة تافهة، تعبد الحجر والشجر، وتمارس كل أنواع الجريمة، وترتكب كل عظيمة، وتكون غارقة في آثامها، سادرة في الغي والضلال إلى أمة هادية إلى القيم، رائدة في الأخلاق، مسكونة بالإيمان والتقوى..

ضعف تأثير البيئة:

والمثالان اللذان أحب التنويه بهما، هما:

الأول: إن من المعلوم: أن الأنبياء الذي يبلغون رسالات ربهم، يواجهون أعتى الجبابرة بما يسوءهم، ويقض مضاجعهم، مما يرون فيه خطراً على ملكهم، وعلى كل ما لديهم، بل على وجودهم أيضاً.. ثم هم ـ أعني الأنبياء ـ يواجهون الناس في أعز شيء عليهم، وأحبّه إليهم، وهم أنفسهم، ويطلبون منهم أن يضبطوا غرائزهم، ويحدّوا من طغيان شهواتهم.. وأن يجاهدوا الظالمين، ويرفضوا حكم الجبارين.

وقد تحدى موسى وأخوه هارون، فرعون، الملك المغرور، والمستكبر إلى حد أنه يدعي الربوبية، ويفرض على الناس: أن يعبدوه ويطيعوه..

وهو إنسان شرير وخطير يقتل الرجال، ويذبح الأطفال.

وهو يملك الجيوش، والأموال، ولديه شوكة الطغيان، وهيبة السلطان.

ويملك المغريات بأنواعها، ومقاديرها الهائلة، وهو رجل ذكي، وماكر، ويعرف من أين تؤكل الكتف.

ولكن موسى استطاع أن يقهر هذا الرجل بالذات، ويخرجه عن طوره وعن توازنه حين استطاع أن يقنع سحرة فرعون بالذات بالتخلي عنه، والدخول

في الدين الذي دعاهم إليه، وأن يعلنوا قرارهم هذا، في نفس تلك اللحظة.

وكان جزاؤهم قطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب، مع أن فرعون كان للحظات خلت يدَّعي: أن ما يدعو إليه موسى لا يستهدفه، ولا يضره، بل يضر الناس، وأن موسى يريد أن يسلبهم أرضهم، ويطردهم من بلادهم.

ومن المعلوم: أن الأنبياء هم أعرف الناس بأساليب الاقناع، وبطرائق الدعوة.. وأن بيئتهم هي بيئة التوحيد، وطهارة الضمير، والصدق، والاستقامة.

كما أن من المعلوم: أن أقرب الناس إليهم هم أبناؤهم الذين عاشوا معهم معظم فصول حياتهم، ولهم ملء الثقة بأن هؤلاء الآباء لا يريدون لهم إلا السعادة والفلاح والنجاح.. وهم يحبون أن يحتفظوا بحب آبائهم ومودتهم لهم، ويريدون الاستزادة من عطفهم ورعايتهم، وهم أكثر ثقة وتعلقاً بهم في مواطن الخطر والضرر.

ونحن نرى: أن ابن نبي الله نوح قد تمرَّد على بيئته هذه، واختار طريقاً معاكساً لطريق والده، برغم كل الضغوط العاطفية والبيئية وسواها..

الثاني: قد يقال: إن المرأة قد تكون أقرب إلى التأثر بالبيئة والخضوع لها من الرجل، فكيف إذا كانت زوجة ترغب في أن تعيش السكينة والرضا، والسعادة مع زوجها؟!

وكيف إذا كان زوجها رجلاً صالحاً تتجسد معاني الخير في كل حركاته وتصرفاته، ثم كان أعلم الناس، وأفضل الناس، وأبعد الناس نظراً، وأصوبهم تفكيراً، مع صحة الإدراك، وسلامة وطيب النوايا، وطهر الضمير؟!

وكيف إذا كان نبياً يتلقى توجيهاته من قبل الله تعالى؛ فهو الذي يسدِّده، ويرعاه، ويؤيده، ويلهمه الصلاح والحق، والخير في كل ما يقول ويفعل؟!

وكيف إذا كان هذا الزوج أفصح الناس، وأعرف الناس بأساليب الاقناع، وأقدر الناس على توظيفها بأقصى طاقاتها فيما يريد؟!

فإذا عاشت المرأة حياتها وهي زوجة لإنسان كهذا، وربطت مصيرها بمصيره، وتذوقت حلاوة الأخلاق الكريمة، وعرفت محاسن الصلاح والاستقامة، واستفادت من ثمرات العمل الصالح.

فما معنى: أن تتمرد على بيئتها هذه، وتنفلت منها، وتكون على النقيض من محيطها هذا، وتحارب زوجها في أعز شيء عليه، وما نذر نفسه له، وهو دعوته ودينه.. ولا تصغي إلى نداء العقل، ولا تنقاد لقضاء الوجدان.. ولا تخضع لمقتضيات المحيط الذي تعيش فيه سنين طويلة..

وقد وجدنا هذا المثال في زوجتي نوح ولوط، وغيرهما من الأنبياء ولا حاجة إلى ذكر الأسماء.. وكان هذا في بيئة الخير والصلاح..

وفي سياق آخر نجد مثالاً آخر في بيئة الفساد والشر، وهو آسية بنت مزاحم زوجة فرعون، الطاغي، والقاتل للأطفال، والرجال، وآسية هذه امرأة أيضاً لا حول لها ولا قوة، وزوجة رجل مستكبر، وأناني، ومجرم، وقاتل، وهو يعرف كلياً، أو جزئياً تفاصيل حياتها، ودقائق حالاتها..

وهو قادر على رصد تصرفاتها، وكشف أخفى حركاتها، ولديه الهيبة، والسلطة، والملك العريض..

ولديه الجيوش، والأموال، والرجال.. ولديه الرياض والبساتين، والخدم

والحشم.. ولديه المناصب، وتحف به المواكب.. ولديه إقطاعات الأراضي..

ولديه رجال الأمن والعيون المبثوثة على الكبير والصغير..

ولديه القصور العامرة، والحدائق الناضرة، والمجلس الأنيس، والأثاث النفيس..

ولديه الذهب والجواهر، وكل ما هو فاخر..

ولديه المغريات وزينة الحياة الدنيا، وكل ما تدعو إليه الشهوات والغرائز.

وما ليس لديه ولا يهتم به، ولا يتوق إليه هو الدين، والأخلاق الفاضلة، والقيم، والرحمة، والرأفة، وحب الخير..

وآسية بنت مزاحم امرأة يستضعفها الرجل، ويفرض الزوج خياراته عليها، ويبطش المستكبر بها، ولا يرحمها من كان من أهل القسوة، ولا يرضى زهدها وقناعتها عبيد الدنيا..

وقد تمردت هذه المرأة الضعيفة، والوحيدة على هذه البيئة، وكل ما حملته معها من قسوة، وما فرضته عليها تلك الاعتبارات والحالات التي ذكرناها من مرارات وعذابات، انتهت بقتل فرعون لها، بصورة فظيعة وفجيعة، لأنها لم تقر بربوبيته، ولم تكترث لاستكباره، ولا استجابت لكل إغراءاته، ولا خضعت لما يتوقع من عسفه وبطشه..

جبرية البيئة ووحدة الأعمال:

ثالثاً: ادعى هؤلاء السائلون: أن أعمال جبرية البيئة تجعل أعمال أهل الأديان واحدة، وهو كلام غير دقيق، إذ إن تكوّن القناعات بصورة جبرية لا يجعل تصرفات أتباع العقائد متماثلة، لكي يكون عقابهم واحداً، وكذلك

مثوبتهم.. فأتباع المذهب الواحد، والدين الواحد، الذين نشأوا في بيئة واحدة يكون فيهم من يطيع، ومن يعصي.. فلماذا يدخلون النار أو الجنة كلهم؟!

وإذا كان الأمر كذلك في أتباع الدين أو الفكر الواحد، فإن القول: بأن أتباع جميع الأديان لا بد أن يكون جزاؤهم واحداً يكون بلا مبرر.. لأن ما يأتي بالثواب والعقاب ليس هو مجرد الانتساب، ولا مجرد التفكير، بل الموجب لأي منهما هو العمل والممارسة، من حيث هو طاعة وانقياد، أو تمرد وعصيان.

فعقوبة المتمرد العاصي، ومثوبة المطيع حتى لو كانا من دين واحد، بل حتى لو صدرت الطاعة والمعصية من شخص واحد.. هو العدل بعُجره وبُجره.. فيثاب على ما أطاع، ويعاقب على ما عصى.

رابعاً: إن البيئة التي تضم من الكثرات ما يصعب حصره، إذا كانت تنتج الفكر، والرؤية، والقناعة بصورة جبرية، فلماذا نرى الاختلاف والتباين بين قناعات وأفكار أفراد تلك البيئة كما اعترف به هذا السائل في نفس سؤاله هذا؟!

ولماذا يصير من نشأ في بيئة توحيدية ملحداً، أو شيوعياً؟! أو لماذا يختار النصرانية أو اليهودية؟! فإن المفروض ـ وفق قاعدة جبرية البيئة فيما ينشأ عنها، أن لا يتمكن من التحول، لأن البيئة أجبرته على هذا النوع من الرأي والقناعة والتفكير حسب قول هؤلاء السائلين.

إجبار البيئة ورفع العقوبة:

ب: إن هذا السؤال يقول: إن الذين أجبرتهم البيئة على فكر ورأي أو قناعة معينة، إذا قرأوا خارج موروثهم الديني، وبحثوا بتجرد وصدق عن الحقيقة، وقادهم ذلك إلى اقتناع هذا بالمسيحية، وذاك باليهودية، أو بالإسلام؟!

أو صار آخر ملحداً، فالعدالة أن لا يعذبهم الله لأن رغبتهم في معرفة الحقيقة قادتهم لنتائج مختلفة، فليس كل الناس يمتلكون نفس الدرجة من الفهم وطريقة التفكير..

فالدين الذي يصنف الناس إلى مسلمين وكافرين، ويحاسبهم وفقاً لذلك لا يكون منسجماً مع عدل الله..

ونقول:

أولاً: إن إلحاد هذا الشخص، وتشكيك ذاك، وإسلام ثالث، وصيرورة آخر نصرانياً أو يهودياً، يدل على أن هذا الأمر الذي حصل بالإجبار يمكن اقتلاعه بالاختيار، فالجبرية إذن يجب أن لا تمنع من عقوبة من يخضع لها، لأنه قادر على اقتلاع آثارها..

ويكون حالها حال حارس دخل سارق إلى البيت الذي يحرس ما فيه على حين غفلة من هذا الحارس، فهل للحارس أن يقول: لا أريد أن أطرد ذلك السارق، لأنه دخل البيت، وأنا نائم، أو غافل، لا أستطيع منعه، ولا يحق لصاحب المال أن يحاسبني، أو أن يطالبني، أو أن يعاقبني، لأن غفلتي أو نومي يسلب منه هذا الحق بسبب الجبرية التي فيه؟!

ثانياً: تقدم: أن آثار البيئة ليست جبرية الحصول، ولو حصلت فهي تبقى خاضعة للإرادة، ومحلاً للاختيار.

ثالثاً: لا بد من البحث عن الحقيقة بتجرد وبموضوعية وصدق، وفق المعايير العلمية الصحيحة، التي يعتمدها جميع البشر من ذوي العقول السليمة، والمناهج القويمة.. وبعيداً عن الهوى والتعصب.. فإنَّ جميع من يبحث ويحقق،

ويدرس ويدقق، سوف يصل إلى نفس النتائج، لأن الحق واحد، ولا يمكن أن يكون الحق هو هذا الشيء ونقيضه، أو ضده.. إذ ما بعد الحق إلا الضلال، وقد قال تعالى عن القرآن: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾(١).

رابعاً: ولأن الحق واحد، ولأنه ما بعد الحق إلا الضلال، ولا يمكن أن يكون الشيء ونقيضه معاً حقاً.. فالملحد، والشاك، واليهودي، والبوذي، والمسلم، وغير ذلك لا يمكن أن يكونوا كلهم على حق، لأنها دعوات متناقضة، كما أنه لا بد من اعتبار من حاد عن الحق إلى غيره كافراً، لأنه تعامى عن الحق، وأخفاه وستره، وأن يعدَّ من التزم بالحق، وحرص عليه مؤمناً.

خامساً: قول السائلين: إن رغبتهم في معرفة الحقيقة قادتهم إلى نتائج مختلفة غير مقبول، بل الذي قادهم إلى ذلك قد يكون رغبتهم في التعامي عن الحق، أو قصورهم علمياً وثقافياً عن كشفه بسبب عدم الاستفادة من المعايير كما يجب. أو قصور أفهامهم عن إدراك الحقائق، أو انخداعهم بما يقوله أصحاب الأهواء، والأغراض غير الشريفة، وغير ذلك..

وقد اعترفوا في نفس هذا السؤال: أن الناس يتفاوتون في درجات الفهم، وطريقة التفكير.

سادساً: تقدم: أن العدل يقتضي أن يكون الحساب، والثواب والعقاب على الأعمال، فيثاب المحسن، ويعاقب المسيء، ولو كانوا من أتباع دين واحد، ولهم فكر واحد، فكيف إذا اختلفت أفكارهم، وأديانهم، ومذاهبهم؟!

---

(١) الآية ٨٢ من سورة النساء.

سابعاً: بالنسبة لقولهم: إن الأقرب للعدل هو أن يحاسب الناس على الأخلاق العامة البديهية، نقول:

إن الأخلاق العامة البديهية تحتاج إلى تحديد، فهناك أخلاق حسنة عند قوم، ولكنها مرفوضة عند آخرين، وعكس ذلك أيضاً صحيح، وكلا الأمرين من البديهيات، فهل يعاقب هؤلاء الماديون من نكح البهائم، أو من مارس اللواط، أو السحاق، أو ارتكب الزنا بالأم، أو البنت أو الأخت، ومن يتزوج زوجة أبيه، وما إلى ذلك؟!

ثامناً: قولهم: إن العقاب والثواب يجب أن لا يكون على الانتماء الديني لا مبرر له، لأننا نقول: إن الحساب يكون على الأعمال، ومن أعمال الجوانح الكفر والحقد الذي لا يرضاه الله، وبغض أهل الحق، لأجل الالتزام بالحق مبغوض لله سبحانه، فلا بد من الردع عنه، ولو بالعقوبة عليه..

الفصل الخامس

- السؤال الثاني عشر.
- السؤال الثالث عشر.
- السؤال الرابع عشر.

الجواب على السؤال الثاني عشر:

لا حماية للكعبة بعد الأصنام:

وقد ورد في السؤال الثاني عشر قولهم: إن الله حمى الكعبة حين كانت مليئة بالأصنام في عام الفيل.. ولم يحمها من السيول التي تعرضت لها أكثر من مرة في التاريخ..

ولم يحمها أيضاً من القرامطة حين سرقوا الحجر الأسود، وكسروه، وضاع قسم منه، ولم يحمها من الحَجَّاج حين ضربها بالمنجنيق، رغم أنها كانت مليئة بالموحدين.

ونجيب:

ألف: إن هدف أبرهة المعلن، الذي جمع له الجيوش: كان هو هدم الكعبة، وإزالتها، وتقويض علاقة الأمة بها، ومحو أثرها من عقول الناس، وقلوبهم، ووجدانهم.. ولم يكن هناك من يمكنه دفع هذا الجبار، فكان المطلوب هو حفظ الكعبة، بفعل غيبي يؤكد على أنها مرعية من الخالق والمنتقم، والقادر، والقاهر.

ب: إن وجود الأصنام فيها لا يزيل قدسيتها، ولا يمنع من حمايتها من ذلك الطاغية.. ولاسيما إذا كان سيأتي يوم تحطم فيه تلك الأصنام، ولا يبقى

لها أي أثر، ويقتلع حب تلك الأصنام من النفوس، وتنقطع علاقة الناس بها، وهذا هو المطلوب..

ج: أما لماذا لم يحمها الله من السيول، فلأن السيول لا تزيل قداسة الكعبة، ولا تهتك حرمتها، ولا تقوض مكانتها في النفوس، بل ما تتعرض له يدفع الناس إلى المزيد من الاهتمام بشأنها، والسعي لحفظها من مثل هذه الحوادث.. وهذا يزيد من تعلق الناس بها، واحترامهم لها.

د: أما ما فعله القرامطة بالحجر الأسود، وضرب الحجاج لها بالمنجنيق..

فأولاً: بالرغم من كل ما في أفعالهم هذه من قبح، وجرأة على الله، وخبث سريرة، ومن بغي واستكبار، وطغيان، فإنه يختلف عن فعل أبرهة: بأن القرامطة لم يفعلوا ما فعلوه، لأنهم أرادوا تقويض مكانة الكعبة في نفوس الناس، ومحو ذكرها، وطمس اسمها، وآثارها، وإزالة معالمها من الوجود، بل أرادوا بدافع من أنانيتهم، وجهلهم، وجفائهم أن يخصُّوا أنفسهم بالشرف والكرامة بزعمهم..

ولأجل ذلك لم يتعرضوا للكعبة، بل اقتلعوا الحجر الأسود وأخذوه إلى بلادهم، وبقي عندهم، واحتفظوا به عشرين سنة، ثم أعيد إلى الكعبة، وكانوا يعظمونه، ولو كانوا يقصدون إهانته لألقوه في الصحراء، أو أخفوه، أو حطموه، وكل ذلك لم يحصل..

ثانياً: ظهر مما قلناه: أن ما جرى لم يكن على سبيل السرقة للحجر الأسود، بل حصل ما حصل نهاراً جهاراً، فلماذا عبَّر السائلون بـ «السرقة»؟!

ثالثاً: إن حديث كسر الحجر وضياع قسم منه موضع ريب، إذ لا مبرر

لحصول أي من هذين الأمرين، ولعل هذه الأقاويل أريد منها التشنيع على القرامطة، الذين اتهموا بالزندقة، مع أنهم ـ كما يقال ـ من فرق الاسماعيلية، ولهذا البحث مجال آخر..

رابعاً: ما فعله الحجاج بالرغم من عظيم قبحه، وشدة شناعته، وبشاعته، إنما كان للقضاء على عبد الله بن الزبير، الذي استولى على الحجاز والعراق، لمدة تسع سنوات. ولم يكن الهدف الأقصى للحجاج هو إزالة الكعبة، وصد الناس عنها، وتقويض مكانتها في النفوس، كما كان الحال بالنسبة لأبرهة..

ولكنه كان طاغية لا يتورع عن ارتكاب أي عظيمة، في خدمة أسياده الأمويين، ولو كانت هذه الجريمة هي أن تصاب الكعبة بالمنجنيق الذي كان يرمي أحجاره من دون تمييز أو مبالاة، وليقتل من يقتل من العبَّاد والزهَّاد، ومن الكبار والصغار، فإن المهم عند الحجاج هو القضاء على ابن الزبير عدو أسياده من بني أمية.

الجواب على السؤال الثالث عشر:

وقد أثار السؤال الثالث عشر أموراً، هي التالية:

تشابه التعاليم في الأديان:

ألف: قالوا: إن هناك تشابهاً في كثير من العقائد والعبادات بين الإسلام، والديانات المجوسية والزرادشتية التي كانت سنة ١٥٠٠ ق. م. والمانوية التي كانت سنة ٤٠٠ ميلادية، وقد أخذت من الزرادشتية.

ولكن القرآن تجاهل ذكر أنبياء هذه الديانات، مع أن كثيراً من علماء المسلمين قالوا: بأن الزرادشتية ديانة توحيدية، وأن زرادشت نبي، وقد اشترك

الإسلام مع الزرادشتية في أمور لا نجدها في المسيحية واليهودية التي جاءت بعد الزرادشتية الخ..

(ثم ذكروا بعض موارد التشارك كما سنرى).

ونلاحظ على كلامهم هذا بما يلي:

أولاً: ما ذكر، من أن الزرادشتية كانت قبل الميلاد بـ ١٥٠٠ سنة غير مسلَّم، فهناك من يقول: إنها كانت قبل الميلاد بما يزيد على ضعف هذا الرقم[١].

ثانياً: إن زرادشت هو الذي ادَّعى النبوة لنفسه، فآمن به قوم، وجحده قوم، فأخرجوه، فأكلته السباع في البرية[٢].

وليس قول من قال من علماء المسلمين بنبوته بالذي يصلح للاستدلال به.. لاسيما وأن من يقول بذلك يقول به على سبيل الاحتمال، أو الترجيح، استناداً إلى قرائن لا تنهض للدلالة على شيء، من الناحية العلمية والموضوعية.

وأما ماني، فقد قالوا: إنه كان زنديقاً ولم يكن نبياً، وكان يعترف بنبوة موسى، ولا يعترف بنبوَّة عيسى «عليهما السلام»، وادِّعاء ختم النبوة من قبل ماني، كادِّعاء ذلك من قبل زرادشت، وهو يؤيد ما قلناه[٣].

ثالثاً: إنه إذا كان دين الله تعالى واحداً، فإن جميع الرسل الذين يرسلهم سوف يبلغون هذا الدين الواحد، وسيؤمن بدعوتهم من يؤمن، ويكفر بها من يكفر، وسيتداول المؤمنون بها تعاليمها، ويمارسون عباداتها، ويجرون

---

(١) راجع: منتخب التواريخ ص٨١٠ وناسخ التواريخ ج١.

(٢) بحار الأنوار ج١٠ ص١٧٩ و٣١٠.

(٣) الأنساب للسمعاني ج٣ ص١٧٣ والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٢٤٤.

أحكامها. ويرى ويسمع ذلك منهم كل من عاش بينهم، أو تعامل معهم.. ثم تتداول ذلك الأجيال اللاحقة، ويكون هناك طائع وعاص، ومتيقن وشاك، وضال ومهتدٍ، ومحرِّف ومفترٍ.. ويبدأ الانحراف بالظهور، والتخلي عن التعاليم تدريجاً بالانتشار، ويختلط الحابل بالنابل، وتشوه بعض المفاهيم، وتستبدل بعض التعاليم، وتتغير بعض الطقوس، ولو جزئياً.. ويبتعد الناس رويداً رويداً عن التعاليم الصحيحة، فتمس الحاجة إلى التجديد، وإعادة الأمور إلى نصابها، بإرسال رسول جديد.

وهذا يعطي: أن الكثير من معالم الدين السابق تبقى متداولة، ومستمرة عند الناس، ويكون هذا الابتعاد عنها مثيراً للمصاعب أمامها، حتى لو كانت دعوة باطلة..

ونحن نعرف: أن ماني قد أخذ بعض المجوسية، فشابه ببعض النصرانية، فكذبته النصارى، وقبلته المجوس، لزعمه: أن الذي يدبر العالم إلهان:

أحدهما: نور.

والآخر: ظلمة[١].

وبذلك يعلم: أن ظهور هذه الأديان الباطلة لا يعني أنها لا تقتبس بعض تعاليمها من المحيط الذي هي فيه، مما هو من بقايا تعاليم الأنبياء، الذين كان لهم أثر كبير في مجتمعاتهم..

بل ترى: أن ذلك يعطيها قوة وفعالية، ومقبولية بين الناس..

---

(١) بحار الأنوار ج١٠ ص١٧٩.

وقد قلنا: إن دين الله واحد[١] عند جميع الأنبياء، فإذا اختلفت الأديان مع بعضها، عُلِم: أن من بينها ما هو دخيل، وباطل، ويميز بين الصادق من غيره ممن يدَّعون النبوة، من خلال المعجزة التي يعجز البشر عن مثلها في كل زمان.

فلا مجال للقول: بأن التشابه في بعض الأحكام والتعاليم يدل على أخذ اللاحق من السابق.. إلا إن كان المراد أصحاب الدعوات الباطلة..

أما دين الله، فلا بد أن يتطابق مع دعوات جميع الأنبياء، الثابتة نبوَّتهم بالمعجزة ـ يتطابق معها ـ في كل صغيرة وكبيرة، إلا في موارد النسخ الذي يطال أحكاماً قليلة جداً في الشريعة.

ولا بأس بذكر خلاصة كلام للإمام جعفر بن محمد الصادق «عليهما السلام» يبيِّن فيه: أن عرب الجاهلية كانوا أقرب إلى الدين الحنيف من المجوس.

فقد قال «عليه السلام»: وذلك أن المجوس كفرت بكل الأنبياء، وجحدت كتبها، وأنكرت براهينها، ولم تأخذ بشيء من سنتها وآثارها، وأن «كيخسرو» ملك المجوس في الدهر الأول قتل ثلاث مئة نبي.

---

(١) بمعنى العقيدة والشريعة على حد سواء، فملة إبراهيم هي ملة محمد، كما أن الله يقول: ﴿**شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾. وعدم الحاجة في بعض المجتمعات إلى بعض الأحكام بسبب عدم وجود موضوعاتها.. ولذلك تبدل الموضوعات، وانتهاء أمد أحكامها لا يعني الاختلاف في الشريعة.. فإن بعض الأحكام في عصرنا هذا لم يعد لها موضوع في بعض المجتمعات الإنسانية، كما أن بعض الأحكام في شرعنا لا تبلغ درجة الفعلية إلا في زمن الإمام الحجة «عجل الله تعالى فرجه».

وكانت المجوس لا تغتسل من الجنابة، والعرب كانت تغتسل، والاغتسال من خالص شرائع الحنيفية.

وكانت المجوس لا تختتن، وهو من سنن الأنبياء، وأول من فعل ذلك إبراهيم خليل الله «عليه السلام».

وكانت المجوس لا تغسل موتاهم، ولا تكفنها، وكانت العرب تفعل ذلك.

وكانت المجوس ترمي الموتى في الصحاري والنواويس، والعرب تواريها في قبورها.

وكانت المجوس تأتي الأمهات، وتنكح البنات والأخوات، وحرمت ذلك العرب.

وأنكرت المجوس بيت الله الحرام، وسمَّته بيت الشيطان، والعرب تحجّه، وتعظِّمه، وتقول: بيت ربنا الخ..[١].

رابعاً: أما الحديث عن اعتكاف زرادشت في الغار قبل الوحي والمعراج، فلا شيء يثبت لنا حصول ذلك فعلاً، سوى ما تورده كتب مستحدثة.. بينها وبين وقوع الحدث المدَّعى آلاف السنين، وربما ورد شيء من ذلك في بعض الكتب التي تنسب إلى مؤلفين قدماء، لا علم لنا بمدى صحة النسبة.. وبذلك يُعلم: أن كل ما يقال حول ذلك ينتهي إلى حدسيات واحتمالات، لا تملك

---

(١) الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص٩١ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٧٩ وج١٤ ص٤٦٢ وج٧٨ ص٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص١٧٧ و (الإسلامية) ج١ ص٤٦٥ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٣٣٧.

شاهداً ولا دليلاً يرجح مضمونها.

ولو أمكن ترجيح بعض الاحتمالات، فإن الأمر لا يتجاوز مرتبة الظن، ولا يلامس الاطمئنان، فضلاً عن أن يفضي إلى اليقين..

كما أن الاعتكاف بالغار لو كان له أصل، فقد يكون لأنه بيته كان ذلك الغار نفسه.. كما هو حال كثير من الأمم والشعوب في قديم الأزمان.

وقد ورد في القرآن ما يدل على أن البيوت كانت تنحت في الجبال، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[1].

خامساً: لو صح أن زرادشت ادَّعى: أنه خاتم الأنبياء، فإنها دعوى متوقعة منه ومن أمثاله، بل لا يتوقع سواها، لأن الإقرار بوجود أنبياء يأتون بعده يخفف من وهج مدَّعي النبوة، وهو يسوق إلى التراخي في الالتزام بدعوة الأنبياء الفعليين، والتطلع إلى من يأتي بعدهم..

وهذا ما لا يستسيغه المدَّعون للنبوة كذباً، وطلباً للدنيا، وحباً بالشهرة، وهم يرون أنهم لا يملكون سوى الدعوى الخاوية عن أي إثبات، لإدراكهم أنهم لا يقدرون على اجتراح المعجزات المثبتة لصدقهم.

فظهر: أن ادِّعاء ختم النبوة ليس أمراً عقائدياً عند الزرادشتية، بل هو ادِّعاء طامح وطامع، فهو حدث تاريخي، وليس تعليماً دينياً[2].

سادساً: بالنسبة لمفهوم الصراط الذي يشترك فيه زرادشت مع ما ورد

---

(١) الآية ٨٢ من سورة الحجر.

(٢) مستدرك سفينة البحار ج٩ ص٣٣٧ والبحار ج١٠ ص١٧٩ وج١٤ ص٤٦١ وج٧٨ ص١٠٨.

في الإسلام نقول:

الصراط هو الطريق المستقيم الموصل إلى الهدف، وهو السعادة في الآخرة، ودخول الجنة، قال تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾. وهذا مفهوم واضح وصريح يدركه كل عامل، ويعرف أن أي زلل، أو تنكّب عن هذا الطريق يؤدي بالإنسان إلى الهلاك والعذاب.. ولا يحصل للإنسان الأمن من المهالك حتى يبلغ مبتغاه، ويتجاوز تلك المخاطر.. وهذا أمر يدركه كل من يضع هدفاً، ويعتبر أن نجاته وسعادته تكون بالوصول إليه.

سابعاً: إن ادِّعاء زرادشت أنه عرج به إلى السماء ربما كان على قاعدة قول فرعون: ﴿**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[1].. الرامي إلى إيهام الناس بأمور لا واقع لها، وراء الادِّعاء الباطل..

وهو لا يختلف عن ادعاء ختم النبوة في قيمته وفي دوافعه.. ما دام أنه لم يشفع بالشواهد الدالة على هدفه.

أما معراج نبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، فقد أثبته نبينا لقريش بما أخبرهم به عن بيت المقدس، وما جرى له مع قافلتهم في طريق عودته «صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) الآية ٣٨ من سورة القصص.

(٢) مجمع الزوائد ج١ ص٧٥ وفتح الباري ج٧ ص١٥٤ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٤٣٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٥٦ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٢٤ والدر المنثور ج٤ ص١٤٨ وكفاية الطالب (الخصائص الكبرى) ج١ ص١٧٧.

ثامناً: بالنسبة لما ذكروه من وجوه الشبه بين المانوية والإسلام نقول:

ألف: بالنسبة للاشتراك بينهما بالقول بتحريف التوراة والإنجيل نقول:

إن هذا الأمر ليس من التعاليم الدينية، لا من العقائد، ولا من الشرائع، ولا من الطقوس، ولا من قضايا الإيمان.. بل هو إدراكٌ لأمر واقعي، متاح لكل أحد أن يحصل عليه، وينتهي إليه بالبحث والتحقيق، والتدقيق، ودراسة الأدلة والشواهد..

ب: ادِّعاء ماني أن المسيح لم يصلب.. وإنما اختفى عن الأنظار، وهذا أيضاً قد لا يكون الوحي هو الذي أتحفه به، بل ربما يكون قد أدركه من فقدان يهوذا الإسخريوطي العجيب والغريب، وقد كان حاضراً ووقع شبه عيسى عليه.

ولكن ماني لم يعترف حتى بنبوة عيسى، فضلاً عن أن يحكم بأن الله تعالى قد رفع عيسى إليه، كما هو الحال في الإسلام، ولم تنزل عليه آية تخبره بما جرى، كما هو الحال بالنسبة للمسلمين، ولا يعرف ما جرى لعيسى بعد اختفائه، وإلى أين انتهى أمره، وماذا كان مصيره؟!

ج: أما ادِّعاء ماني أنه هو البارقليط الذي بشَّر به المسيح، فهو أمر متوقع جداً، وها نحن نرى العشرات يدَّعون المهدية كذباً وزوراً، لأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبر الأمة: بأن المهدي هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً.. مع أن النبي قد سمَّاه، وذكر له سمات وعلامات تدل عليه، وتشير إليه، وحذَّر من تصديق أي مدَّع للمهدية قبل رؤية تلك الدلائل والعلامات.

د: أما أن الصلاة في المانوية تشبه هيئاتها هيئات الصلاة في الإسلام،

من قيام وركوع وسجود، فلا يفيد المستدلين به أيضاً..

أولاً: لأن العنصر الأهم في عبادات البشر يتمثل بإظهار غاية الخضوع والخشوع أمام معبودهم، أو من يريدون إظهار الخضوع له.. فالإنحناء إلى حد الركوع، وكذلك السجود أمام المعبود، والقيام الذليل بين يديه هو أكثر ما يفعله البشر على اختلاف أديانهم، ومعبوداتهم، وألوانهم وأجناسهم، ولغاتهم، وثقافاتهم، ومستويات وعيهم.. وتجد ذلك عند الأمم البدائية، وعند الأمم المتحضرة، وهذا لا يعني أن تكون هذه الأمة قد أخذت من تلك، ولا هذا الدين قد استنسخ من ذاك..

ثانياً: قول هؤلاء: أليس هذا مؤشراً واضحاً: بأن الإسلام استنسخ هذه العقائد من المجوس؟! غير صحيح:

ألف: لأن معظم ما ذكروه من أمثلة لا يدخل في دائرة العقائد ليقال: إنها مستنسخة، أو غير مستنسخة.. فالصلوات الخمس في أوقاتها، والوضوء بالماء قبل الصلاة ليست من العقائد..

كما أن القول بتحريف التوارة والإنجيل، والقول باعتكاف زرادشت بالغار قبل الوحي، وأنه عرج إلى السماء، وأن المسيح لم يصلب، ومفهوم الصراط، وأن ماني هو البارقليط.. إن ذلك كله ليس من العقائد كما تقدم بيانه.

ب: ونشير أخيراً إلى أنه لم يبق من الأمور العقائدية في كلام هذا السائل سوى قولهم: بأن الكثير من علماء المسلمين قالوا: بأن الزرادشتية مثلاً هي ديانة توحيدية، وأن زرادشت نبي.

وهذا كلام لا يصح، لأن الزرادشتية إذا كانت من الديانات المجوسية،

فمن المعلوم: أن المجوس يقولون بخالقين، هما: «يزدان» الذي يخلق الخير، و «اهرمن» الذي يخلق الشر.. فكيف تكون من الديانات التوحيدية؟!

وأما أن زرادشت كان نبياً، فقد تقدم الحديث عنه، فلا نعيد.. وكذلك الحال بالنسبة لما نسبوه إلى كثير من علماء المسلمين.. فإنه يبقى في دائرة الاحتمالات والظنون التي لا تسمن، ولا تغني من جوع.

الجواب على السؤال الرابع عشر:

وفيه أسئلة عن الآيات التالية:

الرياح اللواقح في الأرض فقط:

ألف: قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾(٢).

والرياح والبرق يوجدان في الكواكب الأخرى غير كوكب الأرض، مع أن تلك الكواكب ليس فيها حياة، فما فائدة الخوف والطمع، مع أنه لا يوجد خائف، أو طامع؟! وإذا لم تكن هناك حياة، فما فائدة أن تكون الرياح لواقح، أو لا تكون كذلك؟!

ونجيب:

أولاً: إن القول الجازم بعدم وجود الحياة على سائر الكواكب، ما عدا الأرض مجازفة ظاهرة.. لاسيما مع تصريح العلماء: بأنهم لا يعرفون إلا أقل

---

(١) الآية ٢٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ١٢ من سورة الرعد.

القليل عن بعض الكواكب القريبة، فما بالك بمليارات الكواكب الأخرى التي لا يعرفون عنها شيئاً، سوى أنهم يدركون وجودها، ولو إجمالاً، أو احتمالاً.

ثانياً: من قال: إن الحياة منحصرة بهذه الأصناف من الكائنات الحية، الموجودة على الأرض؟!

ولم لا تكون هناك أنواع أخرى من الحياة، تناسب أحوال تلك الكواكب، وتتأثر بالرياح وبالبرق فيها، ويكون المراد: أنها لواقح بنحو يتناسب مع طبيعة وجودها وحالاتها؟!

وكذلك الحال فيما يرتبط بفائدة البرق.. فهو خوف وطمع يدركه كل موجود بحسبه، وبما له من حالات ومكونات..

فما معنى إطلاق هذا الحكم الجازم ممن لا معرفة له بجميع الحقائق والأسرار، ولم يطَّلع على أنواع سائر المخلوقات؟!

ثالثاً: ليس في هذه الآيات دلالة على أنها تتحدث عن سائر الكواكب، فلعلها تتحدث عن فوائد الرياح والبرق بالنسبة للموجودات الحية في خصوص كوكب الأرض.. وتكون فوائدها بالنسبة إلى الكواكب الأخرى متناسبة مع أحوالها، من حيث كونها ذات حياة أو لا..

وقد صرحت الآية الثانية: بأن المخاطبين بالقرآن، هم أهل الأرض الذين أنزلت الآية إليهم..

الشهب.. ليست رجوماً للشياطين:

ب: وقال هؤلاء أيضاً حول قوله تعالى: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا**

﴿مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾[1]: إن ما نراه من شهب لا ربط له بالجن والشياطين، فقد كشف العلم: أنها مجرد أحجار تدخل ضمن جاذبية الأرض، وتحترق في الغلاف الجوي، وأصبح العلماء يتوقعون عددها، ووقت حصولها بدقة..

فالعلم يكتشف شيئاً فشيئاً الكثير من الأمور التي كانت غيبية، وينسبها الإنسان إلى الله تعالى بتفسيرات تدل على فهمه المحدود في ذلك الوقت.

ونجيب:

أولاً: لا دليل على أن المراد بالآية: هو هذه الشهب التي نراها، ويكثر عددها في بعض الأوقات، بل المقصود بها: ما يناسب طبائع وتكوين شياطين الجن.. فقد يكون لهم نوع من الشهب يناسب حالهم، ويلحق بهم الأذى، وله رهبة في قلوبهم..

ومن قال: إن دعواهم بأنها مجرد أحجار تدخل ضمن جاذبية الأرض، وتحترق في الغلاف الجوي، وأن العلماء يتوقعون عددها، ووقت حصولها؟!

إن هذا غير صحيح، بل هو دعوى بلا دليل أيضاً..

والبيانات التي يصدرونها حول بعض ما يتوقعونه، لا تأتي مطابقة لتوقعاتهم، كما يعلم بأدنى مراجعة..

ثانياً: إن الآية تدل على أن تحصين السماء بالحرس الشديد والشهب هو في زمن الرسول «صلى الله عليه وآله».. وأما ما بعده، فلعل الآية ليست بصدد

---

(١) الآيتان ٨ و ٩ من سورة الجن.

بيان حاله، ولعله أمره قد انتهى، ولعله لا يزال باقياً.

ثالثاً: إن العلم، وإن كان قد كشف عن أن الشهب هي أحجار تدخل في مجال جاذبية الأرض، فإن أحداً لا يستطيع أن يحكم بأنها لا ربط لها بدحر الجن والشياطين عن الإقتراب من مقاعد السمع في السماء.

رابعاً: من قال: إن نفس هذه الشهب هي التي يخشاها الشياطين، فلعل الشهب الكامنة للشياطين تكون في مجالات أعلى، كالسماء الرابعة مثلاً حيث الملائكة يعبدون الله، ويتحدثون بما يعرفونه من أسرار، وما اطَّلعوا عليه من شؤون التقدير والقضاء الإلهي، والمهمات التي يمكن أن تُوكل إليهم، ويتهيأون للقيام بها.

خامساً: إن الحكم على هذه الآيات قبل أن نكتشف أسرار الكون والحياة، وتصبح دلالتها على المراد منها قطعية لا يمكن قبوله، إذ لا بد أن تستبعد بصورة علمية صحيحة جميع الاحتمالات الممكنة في معناها عن دائرة القصد، فلا يصح الحكم عليها: بأنها قد جانبت الصواب، وابتعدت، وناقضت الحقائق العلمية الثابتة على نحو اليقين من دون أن تحسم سائر الاحتمالات..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفصل السادس

ستة أسئلة أخرى..

من الخالق: الله.. أو الطبيعة؟!

السؤال:

الاسم: علي باقر الخلف

النص: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إشكالات في وجود الإله..

يعتمد الإلهيون في إثبات الخالق على شيئين رئيسيين، وهما: برهان النظم، وبرهان العلية.. وللرد عليهم نقول:

الرد على برهان النظم:

يعتمد هذا البرهان على القول: بأن هذا النظام الكوني الشديد التعقيد قد أوجده خالق الكون..

واجتماع شروط الحياة في هذا العالم لا يمكن أن تصدر إلا عن عالم خبير وقادر..

فمثلاً: إذا نظرنا إلى التلفون المحمول باليد، ويقال له: «الجوال»، فمن الغباء القول: بأنه هو الذي صنع نفسه، وهو بهذا التعقيد الدقيق، وإن اختلال

شرط من ملايين الشروط يقود إلى توقفه عن العمل..

واجتماع هذا الكم الهائل من الشروط المعقدة يدل على أنه لا بد من أن يكون هناك قوة عاقلة قد صنعته.

كما أن في عالمنا هذا ملايين الشروط التي يجب أن تتوفر، لأجل أن تقوم فيه حياة، وكل ذلك يدل على أنه لا بد من وجود خالق حكيم لهذا الكون، قد قام بتوفير هذه الشروط لهذه الحياة..

ويلاحظ على هذا الدليل ـ وأنقل ما قد قرأته في الإنترنت، وناقل الكفر ليس بكافر ـ: «أيهما أكثر غرابة، أن نقول: بأن هذا الكون المعقد نتج بسبب تطوره كتطور الجنين في بطن أمه..

أو القول: بأن هذا الكون المعقد نتج بسبب ساحر، لا يمكن رؤيته ولا الكلام معه».

عندما نجعل رجلاً أعمى يقوم بالضغط على حروف آلة كاتبة بصورة عشوائية، فهل من الممكن أن يقوم بكتابة قصيدة كاملة؟!

بكل تأكيد نعم.. لأنه إذا ظلَّ هذا الشخص ملايين السنين، وربما مليارات، سيقوم بكتابتها، وإن كنَّا غير متأكدين مئة بالمئة من أنه سيكتبها، إلا أنه يوجد احتمال في ذلك، خصوصاً مع وجود هذا الزمن الكبير.

فلو قلنا: إن الطبيعة تحتل مكان ذلك الرجل الأعمى، وإن تلك القصيدة هي ما وصل إليه كوننا المعقد، نجد: أن هنالك احتمالاً ويكون كبيراً مع النظر لوجود ذلك الزمان الكبير على أنه لا يوجد إله، وإنما الطبيعة تطورت، وتكَّون هذا العالم..

مع العلم: بأن هذه النظرية تدرس في جامعات غربية كبيرة، فلها معطيات مادية وقرائن نراها..

الرد على برهان العلية:

يقولون: إن لكل معلول علة، وسلسلة العلل يجب أن تنتهي لعلة ليس لها علة.. وتلك العلة هي الإله المسمى بواجب الوجود، وكل ما عداه ممكن الوجود، أو ممتنع الوجود.

ويلاحظ عليه: صدق مقولة: أن لكل معلول علة، وسلسلة العلل يجب أن تنتهي إلى علة ليس لها علة، ولكن كيف يمكن الجزم: بأن تلك العِلَّة هي الإله، فربما تكون تلك العلة هي المادة نفسها، فمن أين القول: بأن هذه المادة ليست خالدة؟!

سيطرح الإلهيون سؤالاً يقول: كيف أتت هذه المادة؟!

فنجيب: من أين أتى الإله؟!

فإن قلتم: إنه موجود، ولم يخلق لنقول: من أين أتى؟!

فنقول: إن هذه المادة موجودة، ولم تخلق من العدم، لنقول: من أين أتت؟!

وتوجد نظريات علمية الآن: بأن المادة لا تستحدث من العدم، ولا يمكن تحويلها إلى عدم، ولكن يمكن أن تتحول من شكل إلى شكل آخر، وربما (يوجد احتمال) العلم في المستقبل يبيِّن لنا كيف نشأت هذه المادة..

خلاصة القول:

إن القول: بأن هنالك إلهاً أقرب للصحة، ولكن لا يمكن الاعتقاد بذلك

جزماً أبداً، بل هو اعتقاد ظني كبير، لأنه يوجد احتمال، ولو كان قليلاً: بأنه لا يوجد إله، بل إن الطبيعة والزمان، والتفاعلات، والتغيرات أنتجت هذا العالم..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فقد تضمن هذا السؤال اختلالات كثيرة، وتهافتاً في العديد من المواضع، نشير إلى بعض منها، فيما يلي:

ألف: قال السائل: «أو القول: بأن هذا الكون المعقد نتج بسبب تطوره، كتطور الجنين في بطن أمه».

ونقول له:

هناك فرق بين إيجاد الشيء وصيرورة الشيء موجوداً، وبين تطور الموجود.. والكلام إنما هو في أصل حصول الوجود للشيء، وليس في تطور الشيء الموجود المكتمل العناصر..

ب: قال السائل: «أو القول: بأن هذا الكون المعقد نتج بسبب ساحر لا يمكن رؤيته الخ..».

ونقول:

أولاً: إن التعبير بكلمة «ساحر» من أساليب التنفير، والتأثير النفسي

والتلاعب بالمشاعر، وليس من التعابير العلمية التي يجب إيكال أمر دلالتها إلى العقل، والوجدان العلمي، ولماذا لم يقل: «نتج بسبب فاعل مختار قادر وعالم»؟!

ثانياً: إن الرؤية للفاعل ليست من شرائط تأثيره في فعله، أو إتقانه لعمله، وقدرته عليه.. فنحن لا نرى عقل الإنسان، بل لا نرى روحه أيضاً.. ولكن ذلك لم يمنع من التفكير الصحيح، ولا يحجب العقل عن الإدراك، ولا الروح عن بث الحياة في كائن بعينه.

ج: إن كتابة الأعمى قصيدة كاملة بضغط عشوائي على حروف آلة كاتبة لا يكّون هذه القصيدة المتناسقة، حتى لو بقي يضغط مليارات المليارات من السنين.

أولاً: لأن أية ضغطة على حرف في أي لحظة كانت ستسترجع نفس الاحتمالات التي سبقتها، ولو بملايين السنين قبلها، وهكذا الحال في آخر ضغطة له..

ثانياً: إن هذا المثال غلط في نفسه، ولا يصح البناء عليه، لأن المقيس لا يتوافق مع المقيس عليه.. وهذا خلل يجعل القياس ساقطاً، وغير منطقي..

ولأجل حصول التوافق، وتصحيح المسار لا بد أن يفترض أن تكون حروف القصيدة تضارع من حيث الكثرة والعدد كثرة وعدد ما في هذا الكون كله من أسرار، ودقائق، وأحوال، وأطوار، من أصغر ذرة بمختلف مكوناتها، وحالاتها، وسماتها، وارتباطاتها، وتأثيرها، وتأثرها بكل ما في هذا الكون والوجود.

وهذا يفرض: أن يضرب الأعمى مليارات المليارات التي لا تحصى لكي تشكل جميع هذه الضربات دورة واحدة فقط، ويكون مجموعها تجربة واحدة تؤدي إلى انتظام حرفين، ثم تأتي دورة الضربات الثانية لتهدم هذين الحرفين أيضاً، والعودة إلى الصفر من جديد..

وهكذا الحال سيكون في كل دورة تليها أخرى.. وهذا يجعل من الانتظام أمراً مستحيلاً، والضربات مهما كثرت تبقى عقيمة وعاجزة عن بلورة حرفين من قصيدة عدد حروفها بعدد ما في الوجود من حقائق ودقائق، وتفاصيل، وعناصر تجمع وتفرق، وتعيد وتنسق بعدد ذلك كله.

فهل يمكن للأعمى: أن يكتب هذه القصيدة ليمكن أن نقيس إنجازه هذا بخلق هذا الكون كله؟!

أم أن الجواب سيكون بالنفي بكل تأكيد، لأن القصيدة التي تحدث عنها لا تشبه كوننا المعقد لا من قريب ولا من بعيد؟!

د: إن هذا السائل بعد أن حكم: بأن الأعمى قادر على كتابة تلك القصيدة بكل تأكيد، عاد فقال: وإن كنا غير متأكدين مئة بالمئة من أنه سيكتبها، إلا أنه يوجد احتمال ذلك.. فكيف نجمع بين هذا وبين قوله قبل نصف سطر: بكل تأكيد نعم؟!

هـ: كون هذه النظرية تدرس في جامعات غربية لا يجعلها صحيحة، والمعطيات والقرائن التي أشار إليها لا بد أن يصرح لنا بها لننظر فيها، ولا تكفي الإحالة على غائب، أو مجهول، فإن ذلك لا يعدو كونه دعوى بلا دليل.

بقي أن نشير إلى ردهم على برهان العلية، فنقول:

١ ـ قول السائل: «ربما تكون العلة هي المادة».. وعلى هذا، فلا يمكن الجزم بأن العلة هي: الإله.. غير مقبول، لأن المراد بالعلة، ليس هو العلة التوليدية، كالنار التي هي علة الدخان، وسبب للإحراق، ولانتشار النور في الأجواء، والحركة التي تولِّد الطاقة، وما إلى ذلك.. مما يكون فعل العلة فيه اضطرارياً، لا اختيارياً، ولا إدراك معه.

بل المراد: هو العلة التي تفعل باختيار منها، واختيارها يكون عن إدراك.. ولديها عقل، وقدرة، وعلم، وخبرة، ومعرفة الصالح من الطالح، ولها دوافع، وغايات، وترى الدقائق والحقائق الراهنة، والكامنة في الآثار المترتبة على الفعل الذي يصدر عنها.

كما أنها علة وجود، وخلق من العدم، ثم هي تقرر وتدبِّر، وترعى.. كما أنها علة العلل منذ الأزل، وقبل الخلق وبعده، وكل هذا تفقده الطبيعة، ولا يمكن ادِّعاؤه لها..

٢ ـ لو فرضنا: أن هؤلاء اعترفوا بوجود خالق مريد، مختار، قادر، عاقل، حكيم، مدبِّر، لا يحده زمان ولا مكان، ويحاسب، ويثيب، ويعاقب، ويأمر وينهى، وأقروا بسائر صفات الألوهية فيه، ولكنهم أبوا تسميته بـ «الله» عناداً، وقالوا: نريد أن نسميه باسم آخر، مثل كلمة «خدا»، بالفارسية أو «god» بالإنكليزية، أو غير ذلك.. فلا يبقى لنا خلاف معهم، وإن كنَّا نعتبرهم عصاة لله بإبائهم عن التسمية بما سمى تعالى به نفسه.. فإن الطبيعة، أو فقل: المادة، إن كانت قد جمعت كل هذه الصفات التي هي صفة الألوهية، فنحن لا نجادل في تسميتها مادة أو إلهاً، أو رباً، أو أي اسم يستقدمه السائل من أي لغة

أخرى، ويطلقه على هذا الموجود العاقل، والقادر، والعالم، والمختار، والعليم، والحكيم، والرحيم، الذي نسميه نحن إلهاً يستحق الطاعة والعبادة، ويسميه غيرنا بأي اسم شاء..

٣ ـ والأغرب من كل ما تقدم: قول السائل أخيراً: القول: بأن هنالك إلهاً أقرب إلى الصحة، وأنه مظنون عنده بقوة.. وعليه فنحن نقول له: إن هذا القول يحتِّم على قائله: أن يحتاط لنفسه، فيعمل بما يوجب له الأمن من عقوبة هذا الإله الذي يرجح هو أن يكون حقيقة، ويعمل بما يرضيه، ويتجنب ما يغضبه..

وأما الاحتمال الآخر، فلا أثر له، ولا خوف من إهماله..

٤ ـ بقي أن نشير إلى أن استناده إلى النظريات المخزونة لدى من يسميهم بالعلماء، لا يصح.. لأنها مجرد نظريات لم تصل إلى حد أن تكون يقينية، وبعضها مجرد افتراضات..

ويا ليت هذا السائل أفصح لنا عنها لننظر فيها، ولنسأله عن مبررات إطلاقها، ودلائل صحتها وواقعيتها..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين..

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

لماذا الله موجود؟!

السؤال:

الاسم: منتظر الخزعلي

النص: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي..

إنني من أشد المعجبين بك وبمؤلفاتك.

وخاصة كتاب الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يعدّ برأيي المتواضع ثورة إسلامية ضد الشبهات التي تطرح حول المقام العظيم لشخص النبي «صلى الله عليه وآله»، وقد استفدت منه شخصياً.

عندي سؤال يسأله الملحد والعالم الفيزيائي الكبير «ستيفن هاوكنك» والذي يقول لماذا الله موجود؟!

وأن هناك سبع علماء مسلمين لم يستطيعوا الإجابة على هذا السؤال.. وأين اختفى مليون شخص لم يجدوا الله؟! مع تحياتي لكم..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإنه ليس من حق الملحد أن يسأل هذا السؤال، بل عليه أن يبحث أولاً، إن كان الله موجوداً، أم لا.. فإن ثبت له أنه موجود بما له صفات الألوهية، ومنها الوجوب، والإطلاق في سائر صفات الكمال والجمال، لم يعد له الحق في أن يسأل عن فائدة وجوده.. لأن وجوده هو مقتضى ذاته، والذي يُسأل عن سبب وجوده هو الممكن..

ويكفي أن يقال تأنيساً لقلوب الضعفاء، والجهلاء:

إن مما يرتب على ذلك ظهور صلاح الصالحين، وعظمة الأنبياء والمرسلين، والأئمة الطاهرين، والأبرار والأخيار المنتجبين، ومعرفة فضلهم، وامتيازهم على الأشرار، والأغبياء، والجهلة الذين يجادلون بالباطل، وينكرون فضل الله عليهم، ويجحدون نعمه، ويظهرون، وينشرون ظلمهم وتجنيهم، وإفسادهم لحياة البشر، وعقولهم، وعبثهم في أمنهم الفكري والمعيشي.. وغير ذلك من شؤون الحياة، فهم مجرمون من الدرجة الأولى، لا يستحقون الاحترام ولا الاهتمام..

وأظهر مصاديق هؤلاء: هم الملحدون، حتى ولو كانوا من علماء الفيزياء، فإن عبثهم بمصائر البشرية أعظم ضرراً، وأشد فتكاً، وأعظم شراً، في البشر، ولا تجبر ضررها، ولا يدفع أثرها، أية فائدة يمكن أن يقدمها الملحدون الضالون، مهما كانت عظيمة وجليلة بنظرهم.. فإن ذلك مهما جلّ، فلن يوازي في قيمته درجة قيمة حياة البشر وأمنهم ووجودهم..

والحمد لله، والصلاة على محمد وآله الطاهرين..

لماذا خلق الإنسان؟!

السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

ما هي العلة التي أوجد الله الإنسان لأجلها، فإذا كانت المعرفة، فقليل من الناس يحب العلم؟!

جزيتم خيراً، إن شاء الله..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

لا مانع من أن تكون المعرفة هي العلة، وهي مطلوبة ومحبوبة، وهي أيضاً فضيلة سواء أحبها الناس أو كرهوها، فكراهتهم لها لا تعني سقوطها عن الاعتبار، وقد قال تعالى: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[1]. فهل ذلك يعني أن الشكر غير مطلوب ولا محبوب لله، أو أنه ليس من الفضائل؟!

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

كيفية الخلق

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم..

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي دامت بركاته..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أرفع إلى مقامكم العالي السؤال والإستفسار الآتي..

---

(١) الآية ١٣ من سورة سبأ.

ونأمل من سماحتكم الإجابة والتوضيح والتوجيه في الفهم..

سؤالي حول ما يذكره المرجع الديني الراحل السيد محمد صادق الصدر «قدس سره» في كتاب: منة المنَّان في الدفاع عن القرآن ص٤٤.

في تفسير سورة الفاتحة، مبحث البسملة..

«ثالثاً: إنه أعلى مراتب الوجود.. فقد قال الفلاسفة بقاعدة صدور الواحد عن الواحد، فبالضرورة يخلق الله تعالى واحداً في المرتبة الأولى، يتنزل عن ذاته سبحانه، ثم هذا المخلوق الواحد يخلق الكثرة.. أي يوجد المتعدد، فهو بسيط، ولكنه بالتحليل يكون أمرين: محمد وعلي، لأنهما نفس واحدة، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾(١)، فهو نفسه، ولكنه غيره، والكثرة عين الوحدة، كما قيل في الحكمة المتعالية».

فهل معنى كلام السيد: أنه هنالك خالق للموجودات بالواسطة بقدرة وقوة الله عز وجل؟!

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن علماءنا الأبرار قد أبطلوا ما زعمه الفلاسفة، من أن الواحد لا يصدر

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

عنه إلا واحد.. فإنما يراد بها: أن ثمة سنخية بين المعلول وعلته، وهذا إنما هو في الأمور التوليدية، كالإحراق والنار، وما إلى ذلك..

ولو فرض ـ جدلاً ـ صحة هذه المقولة، فهي لا تصح بالنسبة لواجب الوجود بالذات، إذ لا حدود لقدرته تعالى، وهو يخلق ما يشاء، كيف يشاء، متى يشاء.

بل إن القاعدة التي ذكروها متناقضة في نفسها.. فهي في حين تدعي: «أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد» تدعي أيضاً: أن المخلوق الأول الذي هو واحد أيضاً يخلق الكثرة ويوجد المتعدد. فكيف عجز الله ـ والعياذ بالله ـ عن خلق المتعدد، واستطاع المخلوق الأول له أن يخلق المتعدد؟!

على أن الروايات تصرح: بأن الله تعالى قد خلق أولاً نور نبيه محمد، وهذا المذكور في السؤال يقول: إن المخلوق الأول واحد بسيط، ولكنه بالتحليل يكون أمرين، هما: محمد، وعلي..

كما أن الروايات تقول: إن الله تعالى هو الذي يخلق من نور محمد كذا، ومن نور علي كذا، ومن نور فاطمة كذا..

والوارد في السؤال يقول: إن المخلوق الأول لله هو الذي يخلق كذا أو كذا..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين.

الرحمة عدم خلق العاصي

السؤال:

الاسم: عدنان سلهب

النص: بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد والشكر لله رب العالمين..

سماحة العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي أعزكم المولى ورفع درجاتكم، وأعلى مراتبكم لتبقوا شعاع نور الحقيقة في زمن الشبهات والضلال والفتن..

أما بعد.. سؤال لمقامكم مولانا..

الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء قبل خلق السماوات والأرض وما بينهما.. إذاً قبل الخلق، الله تعالى بلا شك كان يعلم أنه إذا خلقني لن أطيعه، وسأضيع عمري بالمعاصي على سبيل المثال، وستكون نهايتي في جهنم، لكن الله هو الرحمن وهو الرحيم، هو الرحمة التي لا توصف ولا تقاس..

أليس من الرحمة أن لا يخلقني؟!

ألا تتحقق الرحمة الإلهية المطلقة بعدم خلقي وتعذيبي؟! ومما لا شك فيه: أن الله يعلم ما تخفي الأنفس وما في الصدور.. إذاً عندما تملي عليّ نفسي أن أعصي الله، ولو فكرياً، فهو أعلم بحالي وبضعفي، فمقتضى الرحمة هنا أن يسبب الأسباب الدنيوية، ويمنعني من فعل المعصية (وإن كنت مخيراً). فبلا شك هو غني عن عذابي..

عذراً مولانا، ونرجو من حضرة مقامكم أنتم المخلصون لله أن لا تنسونا نحن المقصرين من دعواتكم..

في رعاية الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

فإن مقتضى كلامكم وسؤالكم: هو أن لا يخلق الله سبحانه وتعالى الدنيا من أساسها، لأن فيها آلاماً وأمراضاً، وتعباً، وسعياً في سبيل الرزق، وفيها موت، وفيها هرم وشباب، وضعف وقوة، وعجز وقدرة، وكل ذلك ينافي الرحمة التي تتحدثون عنها، فينبغي أن لا يخلق الله الدنيا، ولا يخلق فيها أحداً، بل يخلق جنة فقط، ولا يخلق ناراً، ويجعل تلك الجنة مزرعة بشرية تشبه مزرعة البصل، أو مزرعة الدواجن..

ولاسيما إذا أضاف إليها بعض الحيوانات أيضاً، مثل: كلب أهل الكهف، وهدهد سليمان، فهل ترون هذا سائغاً؟!

أم أن كلامكم من شأنه أن ينسف الحكمة من وجود الخلق، وأن يمنع من التكامل في معرفة الله وفي طاعته، وأن تصبح الجبرية الإلهية المخالفة للعقل هي الحاكمة والدائمة؟!

وإذا كان الله لا يخلق عبثاً، بل هناك حكمة من الخلق، وهي إيصال العباد إلى كمالاتهم، فليس من الحكمة حرمان أحد من الوجود، لمجرد علمنا بأن سوف يعصي ربه، ويتمرد عليه، ولو فعل ذلك كان من قبيل العقوبة قبل الجريمة، على أن هذا المخلوق الذي يعصي هل يرضى بحرمانه من الوجود، أو يرضى بإنهاء وجوده، حتى بعد ارتكابه الجرائم والعظائم، ألا يرى أن هذا الحرمان

من أعظم الظلم له؟! بل هل يرضى أن يكرهه الله على فعل الخير، ويمنعه بالجبر عن شروره؟!

والحمد لله رب العالمين..

ما الدليل على أن إلهنا هو الخالق؟!

السؤال:

النص: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

نريد منكم الإجابه على شبهة يرددها الملحدون، وهي: ما الدليل على أن إلهنا هو الخالق وليس غيره من الآلهة، مثل: المسيح، وزيوس، وبوذا، وغيرهم..

وشكراً لكم..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

أولاً: لقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾(١).

وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ**

---

(١) الآية ١٩٤ من سورة الأعراف.

﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾[١].

ثانياً: إذا كان بوذا والمسيح، وزيوس.. وغيرهم يعيشون على الأرض فكيف خلقوها؟! وحين خلقوها، هل كانوا عليها؟! أم كانوا في مكان آخر؟!

فحاجتهم إلى المكان تدل على سبق وجوده عليهم.. فالذي خلق لهم ذلك المكان الذي كانوا فيه يكون هو الخالق الحقيقي للكون والموت والحياة.

ثالثاً: لنا أن نسأل عن مصير هؤلاء الذين قيل: إنهم هم الخالقون إن كانوا قد ماتوا، فمن الذي يدبِّر الخلق بعدهم، وإن كانوا أحياءً، فأين هم الآن؟! وكيف عرفنا أنهم أحياء؟!

وتدَّعي بعض الأديان للمسيح: أنه مات، ثم قام بعد ثلاثة أيام، فكيف يثبتون قيامه بعد ثلاثة أيام؟!

ولماذا بقي ثلاثة أيام حتى قام من الموت؟! وليس أكثر أو أقل؟!

وما معنى الفداء بالصلب؟! ولماذا يشمل الفداء من لم يولد ولم يذنب؟! ولماذا يفديه؟!

وهل ادَّعى هؤلاء الذين ذكروا أسماءهم: أنهم هم الذين خلقوا هذا الوجود؟! وكيف يثبت الملحدون ذلك؟!

على أنه ليس للملحد أن يطرح هذا السؤال عن من هو الخالق.. بل عليه أن يعترف بوجود الخالق أولاً، ثم يبحث من هو، وأين هو؟!

وفي جميع الأحوال نقول:

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الحج.

إن لهذا الوجود خالقاً واحداً، وهو قادر حي قيوم، مريد، مختار، عليم، حكيم، غفور رحيم، أزلي سرمدي.. فمن كان كذلك، فهو الخالق، وليكن اسمه الله، أو فليسمِّه الناس بأي اسم شاؤا، فهل يوافقنا الملحدون على هذا؟!

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

أسئلة في التوحيد

السؤال:

الاسم: علي

النص: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

لدي عدة أسئلة عقائدية.. أرجو من سماحتكم الإجابة عليها:

١ ـ هناك رأي قال به فلاسفة من الشيعة، وهو: أن الله تعالى صرف الوجود..

ورأيت أقوالاً أخرى تنتقد ما أفادوه، بل وتنتقد كذلك كثيراً من مقولاتهم التي تتعلق بالتوحيد والمعاد..

فهل حقاً أن الله تعالى صرف الوجود؟! أم أن الحق خلاف ذلك؟!

٢ ـ ماذا يقصد أمير المؤمنين «عليه السلام» من قوله: «وكمال توحيده نفي الصفات عنه»؟! وكيف نوفق بين كلام الأمير «عليه السلام» وبين وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم بصفات، كالسمع، والبصر، والعلم و.. و..

٣ ـ هل علاقتنا مع الله تعالى علاقة خالق ومخلوق؟! أم علاقة علة ومعلول؟! لأن هناك من يقول: إن هذا العالم هو أثر عن الله تعالى، ومعلول عنه، وهو قديم بسبب قدم الفيض الإلهي، فما حقيقة الأمر؟!

٤ ـ هل هذا الخلق يحتاج إلى الله سبحانه وتعالى بقاء، كما احتاجه حدوثاً؟! هل يوجد دليل عقلي على ذلك؟!

و السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته..

الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد..

١ ـ بالنسبة للسؤال الأول نقول:

لا نريد أن ندخل في سجالات مع أحد، ونحن نقول: إنه تعالى كما وصف نفسه، وكما وصفه الأنبياء والأوصياء المكرمون «صلوات الله عليهم أجمعين»، وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١).

وما يقوله الفلاسفة يحتاج إلى استيضاح مرادهم منهم، فلو أن السائل ذكر لنا نفس عباراتهم، وأتحفنا بالنقود التي وجِّهت إليهم، لكان للبحث فيها مجال، إن وجدنا ضرورة لذلك.

٢ ـ بالنسبة للسؤال الثاني نقول:

---

(١) الآية ١١ من سورة الشورى.

إن علياً «عليه السلام» يحذِّر من قول من يقول: إن الصفات زائدة على ذات الباري، منضمة إليه، ومحمولة عليه.. إذ يلزم من ذلك محاذير اعتقادية لا بد من التحرز منها، والصحيح هو: أن صفاته تعالى عين ذاته..

والصفات التي أشرتم إلى وجودها في القرآن هي من صفات الفعل، ونسبتها إليه تعالى بمعنى انتزاعها عن مقام فعله سبحانه، وليس المراد: أن ثبوتها له تعالى كثبوت صفات السمع والبصر، والعلم للمخلوقات.. والذي أشار إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» هو صفات الجلال، التي يجب أن لا يوصف بها، وهو يجلّ عنها.. وهي صفات المخلوقين.

وصفات الذات المنتزعة من مقام الذات، مثل: العالم، والسميع، والبصير، وغيرها.. فإنه تعالى بذاته كذلك.. وهي عين الذات، سواء وجد معلوم، أو مسموع، أو لم يوجد.. بل هو تعالى يعلم الممتنع لو وجد كيف يكون.

وصفات الفعل هي التي تنتزع من مقام فعله تعالى، ثم تنسب، أو يوصف بها الله تعالى، مثل: الخالق، والبارئ، والمصور، والرازق، والشافي..

إنه كثيراً ما يكون إطلاق الاسم على المسمى.. بملاحظة وجود مقتضيه، أو من أجل توفر القدرة لديه عليه، وإطلاق أسماء الله تعالى عليه من هذا القبيل، فالله تعالى خالق من حيث إنه قادر على الخلق، وهذه القدرة كمال له تعالى، وهي موجودة فعلاً.. حتى لو لم يصدر منه الفعل الذي يكون من آثارها، وهو سبحانه مدبر، ورحيم، وحكيم، وحليم، و.. و.. الخ.. حتى قبل أن يخلق الخلق..

وهذا نظير قولك: اشتريت مولِّد كهرباء، مع أن الآلة التي اشتريتها لم

تستعمل بعد، ولم تولد شيئاً، لكن بما أن الاقتضاء والاستعداد للتوليد كامن في عمق ذاتها، صح لك أن تقول: مولِّد كهرباء..

وكذا الحال لو قلت عن حيوان: إنه مفترس، فإن حالة الافتراس كامنة في عمق ذاته، وإن لم يمارس ذلك فعلاً..

وإذا قلت عن آلة: إنها «مقراض» أو «حاصدة»، أو ما إلى ذلك، فإنه يصح وصفها وتسميتها بذلك قبل استعمالها، وذلك لأن الوصف مأخوذ في الذات على نحو الأهلية والاستعداد والاقتضاء.

وأما في الأسماء والصفات الإلهية، فإنها تطلق على الذات الإلهية باعتبار أنها كمال متحقق بالفعل في ذاته سبحانه، من حيث قدرته على تلك الأمور، ولابد أن تؤثر هذه القدرة آثارها حين يتوفر ما يبرر إعمالها..

فهو تعالى خالق، ورازق، ورب، ومدبر، ورحيم، وحكيم، وحنان، ومنان، حتى قبل خلق الخلق على معنى: قدرته على ذلك، من حيث ألوهيته المطلقة تبارك وتعالى..

قال القاضي سعيد القمي في شرحه على التوحيد ج١ ص١٦٦: «الخلق مظاهر لإحكام تلك الأسماء، ومرايا هذه الكمالات، فالوجه الحسن الجميل ثابت له الحسن والجمال، وإن لم يكن في الوجود مرآة، فليس هو سبحانه بخلقه الخلق استحق معنى الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئ، بل ذلك ثابت له أزلاً وأبداً».

وقال: «فخلق زيد الساعة لم يجعل خالقيته من ابتداء هذه الساعة، وليس هو في الزمان، وليس فعله في الزمان.. بل مخلوقه في الزمان، ولا يتفاوت

عنده الأزمنة.. فكون مخلوقه زمانياً لا يصير سبباً لكون فعله زمانياً».

فثبوت صفة الخالقية، وسائر الصفات له تعالى.. لا يستلزم احتياجه تبارك وتعالى لما يكون طرفاً للنسبة خارجاً، لكي يصح اتصاف الله جل وعلا بهذه الأوصاف حقيقة وواقعاً..

وهذا يشبه من بعض الجهات ما يذكره العلماء، من أن مبدأ الإشتقاق قد يكون من الحِرَفِ، أو الصناعات، أو الملكات، وقد يكون مأخوذاً على نحو الصدور، بالإضافة إلى حالات أخرى، لا حاجة للتعرض لها هنا..

فإذا أخذ على نحو الملكة مثلاً، فإن التلبس بمبدأ الاشتقاق يكون فعلياً، وإن لم يصدر عمن تلبس بالمبدأ أي فعل في الخارج أصلاً..

غير أن الإضافة الوجودية في مثل الملكات، والحِرَف والصناعات يحتاج إدراكها إلى تحليل عقلي يقوم على ملاحظة التقدم الرتبي.. وهذا أمر آخر لا ربط له بما نحن بصدد بيانه.

٣ ـ بالنسبة للسؤال الثالث نقول:

هي علاقة الفاعل المختار بما يفعله.. فإذا كانت علاقة خالق ومخلوق ناشئة عن الفعل الذي صدر منه، وهو الخلق، فهذا المعنى يصح نسبته إليه تعالى، لأنه عمل ناشئ عن اختياره وإرادته سبحانه.

نقول هذا، لأننا نعلم: أنه ليس المراد: أنه تعالى علة توليدية لمعلوله، ومخلوقه، كما يتولد الإحراق، والنور من النار، فهذا باطل لا يصح في حق الله تعالى.. لأنه يقتضي أن تكون هناك سنخية وتجانس بين الخالق والمخلوق، ولا سنخية ولا مجانسة بينهما..

٤ ـ ونجيب على السؤال الرابع بما يلي:

أولاً: قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾(٢).

وراجع: الآية ٦٥ من سورة الحج..

والآية ٤٦ من سورة الروم..

والآية ١٢ من سورة الجاثية.

وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾(٤).

وقال عز وجل: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٦).

وقال سبحانه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾(٧).

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الروم.

(٢) الآية ٣٢ من سورة ابراهيم.

(٣) الآية ٦٥ من سورة الحج.

(٤) الآية ٤١ من سورة فاطر.

(٥) الآية ٢١ من سورة الملك.

(٦) الآية ٧٩ من سورة النحل.

(٧) الآية ٦١ من سورة الحج.

وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾(١).

وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾(٢).

وقال سبحانه: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾(٤).

وهناك آيات وروايات كثيرة أخرى تدل على ذلك، وهو كاف في المطلوب.

وورد في الدعاء: «يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك».

وفي دعاء آخر: «يا من كل شيء قائم به».

ثانياً: إذا كانت جميع المخلوقات زمانية، وكان الزمان كماً متصلاً متصرماً، غير قارِّ الذات، متدرجاً في وجوده، محتاجاً إلى فيض الوجود عليه لحظة بلحظة.

فما يكون قوامه بالزمان، لا بد أن يكون متغيراً ومتبدلاً في ذاته وصفاته، لأن حاله وصفته الزمانية في حالة تغير وتبدل مستمر، فيحتاج إلى استمرار الفيض عليه، فكيف إذا كانت هذه الموجودات الزمانية نفسها تختزن تحولات وحركات،

---

(١) الآية ٥ من سورة الزمر.

(٢) الآية ١٩ من سورة الملك.

(٣) الآية ٦٦ من سورة الإسراء.

(٤) الآية ٤٣ من سورة النور.

وانتقالات من حالة إلى أخرى، كما هو الحال في الهواء، والسحب، والأمطار، والنباتات، والأشجار، والتدرج في النشآت والأطوار للإنس والجن، والحيوان، وكما هو الحال في الولادات، وما يتبعها من تحول وتبدل، وحركة، وما إلى ذلك.

وقد أشير إلى هذا الأمر وأشباهه في آيات كثيرة.. وقد قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾(١).

وهذا الفقر مستمر، فيحتاج إلى الفيض المتواصل..

فكل ذلك يشير إلى الحاجة المستمرة إلى علة مبقية، وهي إرادة الله الفاعل المختار، والحكيم، والعليم والقادر.. لاسيما وأنها حتى بعد إفاضته الوجود عليها تبقى على صفة الإمكان، فتحتاج إلى إفاضة بعد إفاضة..

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين..

---

(١) الآية ١٥ من سورة فاطر.

كلمة أخيرة..

كلمة أخيرة:

وبعد.. فقد كانت تلك جولة استغرقت تسعة أيام، تخللها عيد الأضحى، وما فيه من انشغالات، ووفاء بالالتزامات، فكانت هذه النبذة اليسيرة من ثمرات الجهد التي أحببنا أن نقتصر عليها، لإدراكنا أن التوسع في هذه البحوث لا ضرورة له، فإن هذا النوع من الأسئلة الذي هو مجرد ادِّعاءات يبقى محدود التأثير، لمخالفته لأبسط قواعد البحث العلمي والموضوعي الصادق والنزيه، بالإضافة إلى مخالفته للبداهة، ومصادمته لما تقتضيه الفطرة، وإزرائه بالعقل، واحتقاره للوجدان.

وإنما يلجأ بعض الناس إلى أساليب التحايل على الحقائق الواضحة، لعجزهم عن ممارسة البحث العلمي، أو ليأسهم من أنفسهم: أن يتمكنوا من تسويق هذه الأقاويل، من خلال البحث والتمحيص، واعتماد المعايير الصحيحة فيه، الأمر الذي سوف ينتهي بالفضيحة الواضحة والصريحة..

ونعود فنذكِّر: بأننا سنجد من هؤلاء، من يجول في ثنايا هذه الأجوبة ليجد أموراً يسيرة جداً، يزعم هؤلاء: أن بإمكانهم المراوغة فيها.. وأن يتخذوا منها ذريعة لإطلاق الدعاوى العريضة، الهادفة إلى التشكيك في أبده البديهيات، مما لم يجدوا إلى تسخيره في مآربهم سبيلاً..

فإن لم يتمكنوا من الحصول، ولو على ذرة من طحلب يتشبثون بها، فسيلجأون للجحود والمكابرة، والعناد، ثم المجاهرة بالاتهام الجائر، والافتراء الماكر ممن لا يمل، ولا يسأم من الترويج للأباطيل، وتزيين الأضاليل.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

حرر بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٤٣٨ هـ. ق.

٥/ ٩/ ٢٠١٧ م. ش.

لبنان ـ جبل عامل ـ عيثا الجبل (عيثا الزط سابقاً) ـ قضاء بنت جبيل

الفهرس..

الفهرس

تقديم وتمهيد: ٥

السؤال الجامع: ١٤ سؤالاً في سؤال: ١٣

الجواب: ٢٢

الفصل الأول **٢٥**

الجواب على السؤال الأول: ٢٧

الله لا يحتاج إلى عبادتنا: ٢٧

يعذبنا على ترك ما لا يحتاجه: ٢٨

الجواب على السؤال الثاني: ٣٠

عذاب من لم تبلغه الدعوة: ٣٠

لماذا الأنبياء في الشرق الأوسط؟!: ٣٣

إهمال الهنود الحمر: ٣٦

الجواب على السؤال الثالث: ٣٨

الأب لا يحرق أولاده: ٣٨

عقوبة منكر الألوهية خلاف الرحمة: ٤٠

دليل الأبوة أقوى من دليل الألوهية: ٤١

الجواب على السؤال الرابع: ٤٣
العقاب أكبر من الجريمة: ٤٣
الفصل الثاني..... ٤٧
الجواب على السؤال الخامس: ٤٩
لعل الأديان وحي شيطاني:..... ٤٩
أهداف الوحي الشيطاني بالأديان:..... ٥١
الجواب على السؤال السادس: ٥٣
الإسلام يريد بقاء العبودية: ٥٣
سبب الإستمرار في السبي:..... ٥٥
سكوت القرآن عن العبودية:..... ٦٠
لا نصوص في تحريم السبي:..... ٦٠
الإسلام لم يمنع من الإسترقاق: ٦١
علي والمرأة المعاهدة:..... ٦٢
علي والسبي في حرب الجمل: ٧٠
الفصل الثالث ٧٥
الجواب على السؤال السابع: ٧٧
التبعة على المسلمين لا على الإسلام: ٧٧
لا إكراه في الدين لا يلائم فعل النبي صلى الله عليه وآله: ٧٨
الإكراه في الدين، وقتل الحسين عليه السلام: ٨٣

الإكراه سبب ضعف الإسلام: ٨٥
الإكراه في الدين وتشويهه: ٨٦
حرية عبادة الأصنام: ٨٧
الجواب على السؤال الثامن: ٩١
الزواج بعائشة خطأ: ٩٢
كيف يتزوج النبي بطفلة؟!: ٩٥
قتل اليهود في قريظة خطأ: ٩٨
الفصل الرابع **١٠٣**
الجواب على السؤال التاسع: ١٠٥
سبب النفاق، الخوف من القتل: ١٠٥
قتل المرتدين لماذا؟!: ١٠٨
الإكراه في الدين دليل ضعفه: ١١١
الجواب على السؤال العاشر: ١١٣
لا دليل على أي عقيدة: ١١٤
أخطاء في الكتب السماوية: ١١٥
لا فائدة من اعتناق أيَّة عقيدة: ١١٧
هل الحجة في كلام الله أو البشر؟!: ١١٨
الحساب على التناقضات في الأديان: ١١٨
الجواب على السؤال الحادي عشر: ١٢١

إختلاف البيئة يقتضي بوحدة العقوبة: ١٢١
ضعف تأثير البيئة: ١٢٣
جبرية البيئة ووحدة الأعمال: ١٢٦
إجبار البيئة ورفع العقوبة: ١٢٧
الفصل الخامس **١٣١**
الجواب على السؤال الثاني عشر: ١٣٣
لا حماية للكعبة بعد الأصنام: ١٣٣
الجواب على السؤال الثالث عشر: ١٣٥
تشابه التعاليم في الأديان: ١٣٥
الجواب على السؤال الرابع عشر: ١٤٤
الرياح اللواقح في الأرض فقط: ١٤٤
الشهب.. ليست رجوماً للشياطين: ١٤٥
الفصل السادس: ستة أسئلة أخرى **١٤٩**
من الخالق: الله.. أو الطبيعة؟! ١٥١
الرد على برهان النظم: ١٥١
الرد على برهان العلية: ١٥٣
الجواب: ١٥٤
لماذا الله موجود؟! ١٥٨
لماذا خلق الإنسان؟! ١٦٠
كيفية الخلق ١٦١

الرحمة عدم خلق العاصي ١٦٣
ما الدليل على أن إلهنا هو الخالق؟! ١٦٦
أسئلة في التوحيد ١٦٨
كلمة أخيرة: ١٧٩
الفهرس ١٨٣
كتب مطبوعة للمؤلف.....١٩١
قيد الإعداد.....١٩٧

كتب مطبوعة للمؤلف..

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ـ الآداب الطبية في الإسلام

٢ ـ ابن عباس وأموال البصرة

٣ ـ ابن عربي سنيّ متعصب

٤ ـ الأبواب في عهد الرسول صلى الله عليه وآله: نصوص وآثار..

٥ ـ أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية

٦ ـ أحيـوا أمـرنا

٧ ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم

٨ ـ أسئلة وردتنا (هذا الكتاب)

٩ ـ إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..

١٠ ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل

١١ ـ الإعتماد في مسائل التقليد والإجتهاد (صدر منه جزء واحد)

١٢ ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»

١٣ ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي

١٤ ـ الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام

١٥ ـ أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير
١٦ ـ أين الإنجيل؟!
١٧ ـ بحث حول الشفاعة
١٨ ـ براءة آدم عليه السلام حقيقة قرآنية
١٩ ـ براءة يونس عليه السلام في القرآن الكريم
٢٠ ـ البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم
٢١ ـ بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه؟!
٢٢ ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
٢٣ ـ تحقيقي در باره تاريخ هجري
٢٤ ـ تخطيط المدن في الإسلام
٢٥ ـ تفسير سورة ألم نشرح
٢٦ ـ تفسير سورة التكاثر
٢٧ ـ تفسير سورة التوحيد (الإخلاص)
٢٨ ـ تفسير سورة التين
٢٩ ـ تفسير سورة الضحى
٣٠ ـ تفسير سورة العاديات
٣١ ـ تفسير سورة الفاتحة
٣٢ ـ تفسير سورة الفلق
٣٣ ـ تفسير سورة الكافرون
٣٤ ـ تفسير سورة الكوثر

٣٥ ـ تفسير سورة الماعون
٣٦ ـ تفسير سورة المسد
٣٧ ـ تفسير سورة الناس
٣٨ ـ تفسير سورة النصر
٣٩ ـ تفسير سورة هل أتى (جزءان)
٤٠ ـ توضيح الواضحات من أشكل المشكلات
٤١ ـ الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!
٤٢ ـ الحاخام المهزوم
٤٣ ـ حديث الإفك
٤٤ ـ حقائق حول القرآن الكريم
٤٥ ـ حقوق الحيوان في الإسلام
٤٦ ـ الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام
٤٧ ـ الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام
٤٨ ـ الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام
٤٩ ـ خسائر الحرب وتعويضاتها
٥٠ ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام (ستة أجزاء)
٥١ ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)
٥٢ ـ دراسة في علامات الظهور
٥٣ ـ دليل المناسبات في الشعر
٥٤ ـ ربائب الرسول صلى الله عليه وآله «شبهات وردود»

٥٥ ـ رد الشمس لعلي عليه السلام
٥٦ ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)
٥٧ ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
٥٨ ـ زوجات الإمام الحسن عليه السلام: أكاذيب وحقائق
٥٩ ـ زينب ورقية في الشام!!
٦٠ ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
٦١ ـ سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
٦٢ ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية
٦٣ ـ سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور
٦٤ ـ سيرة الحسن عليه السلام في الحديث والتاريخ (المجتبى من سيرة المجتبى) صدر منه جزءان
٦٥ ـ سيرة الحسين عليه السلام في الحديث والتاريخ (أربعة وعشرون جزءاً)
٦٦ ـ شبهات يهودي
٦٧ ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
٦٨ ـ الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (ثلاثة وخمسون جزءاً)
٦٩ ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله (خمسة وثلاثون جزءاً)
٧٠ ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
٧١ ـ طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنَّة والجماعة)
٧٢ ـ ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!
٧٣ ـ ظلامة أبي طالب عليه السلام
٧٤ ـ ظلامة أم كلثوم

٧٥ ـ عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني
٧٦ ـ عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت
٧٧ ـ علي عليه السلام والخوارج (جزءان)
٧٨ ـ عهد الأشتر مضامين ودلالات (جزءان)
٧٩ ـ الغدير والمعارضون
٨٠ ـ القول الصائب في إثبات الربائب
٨١ ـ كربلاء فوق الشبهات
٨٢ ـ لست بفوق أن أخطىء من كلام علي عليه السلام
٨٣ ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء عليها السلام ؟!
٨٤ ـ مأساة الزهراء عليها السلام (جزءان)
٨٥ ـ مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (ثمانية عشر جزءاً).
٨٦ ـ مراسم عاشوراء «شبهات وردود»
٨٧ ـ المسجد الأقصى أين؟!
٨٨ ـ المعجزات: رقي وغايات، للبشر في الحياة
٨٩ ـ مقالات ودراسات
٩٠ ـ من شؤون الحرب في الإسلام
٩١ ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية
٩٢ ـ المواسم والمراسم
٩٣ ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام
٩٤ ـ موقف الإمام علي عليه السلام في الحديبية

٩٥ ـ ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)
٩٦ ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام
٩٧ ـ وقفات مع ناقد
٩٨ ـ الولاية التشريعية
٩٩ ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة

قيد الإعداد

١ ـ الإعتماد في مسائل التقليد والإجتهاد ج٢
٢ ـ تفسير سورة البينة
٣ ـ مختصر مفيد ج١٩ و ٢٠ و ٢١
٤ ـ سيرة الحسن عليه السلام في الحديث والتاريخ..
٥ ـ مسائل حول المرأة